مقومـات أمن الإنسان في القرآن

إعداد

د. عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني

عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض

ملخص البحث

هذا البحث يتحدث عن الأمور التي تعين المرء المسلم على جلب الأمن لنفسه في الدنيا والآخرة، واندفاع الخوف عنه كذلك في الدنيا والآخرة، وذلك بأن يقال: إن السبب الرئيس لإيجاد الأمن في الدنيا والآخرة يكمن في فعل الأوامر الربانية ، واجتناب النواهي الشرعية، وعلى الضد من ذلك، فإن السبب في انعدام الأمن وحصول الخوف والرعب والقلق في الدنيا والآخرة يكون في ارتكاب المخالفات الشرعية التي حذرنا الله تعالى منها. مثل الشرك، وجحود النعم، وموالاة الأعداء، وعدم الثقة بنصر الله تعالى.

وقد تعددت أساليب القرآن سفي الحديث عن الأمن، نحو ذكر لفظ الأمن نصاً، ونفي الخوف، ونفي السوء، والربط على القلوب، ونزول السكينة.

وجاء في القرآن نماذج للآمنين، ومنهم إبراهيم ومحمد وموسى عليهم الصلاة والسلام.

مقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم علـى أشـرف خلقـه، وأفـضل رسـله محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أهم المهمات، وأعظم الأمور الـتي يحـرص عليهـا المـرء في هـذه الـدنيا حصوله على الأمن والاستقرار، والطمأنينة والسكينة، وإن المتأمل في القـرآن الكـريم ليجد أن الله ـ تعالى ـ قد بينه أعظم بيان، لا يدع لسائل أمراً مشكلاً إلا أوضـحه، ولا شيئاً مشوشاً إلا كشفه وأبرزه، وهذا كلّه يـدل علـى أن الموضـوع يحتـاج إلى أن يـبين للناس لا سيما في هذا الوقت الذي انتشرت فيه الفتن، وعظمت فيه المحـن، وتكالبـت الأعداء على المسلمين، يخيفونهم ويروعونهم بشتى الوسـائل والأسـاليب ليـصدوهم عن دينهم وعقيدتهم.

ومن هنا فقد رأيت أن أقدم بحثاً مختصراً أبين فيه الوسائل المعينة للمسلمين على وجود الأمن والاستقرار في أنفسهم وذرياتهم ومساكنهم وبلدانهم، وذلك من خـلال النظر والتأمل في كتاب الله ـ تعالى ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه، والذي يأتي في المرتبة الأولى لاستخراج مقومات الأمن والاستقرار، ليأخذ المـسلمون منه ما يعينهم على استقرار حياتهم، وطيب معاشهم في أولاهم وأخـراهم، وليعلمـوا أسباب الخوف والرعب المتمثلة في مخالفة الأوامر الإلهية، وارتكاب المنـاهي الـشرعية، فيجتنبوها، ويحذروا من الأسباب المؤدية إليها.

ذلك كله قد بسطنا الحديث عنه في هذا البحث الميسر في أربعة فصول: مقومات الأمن في الدنيا والآخرة وهي تكمـن في فعـل الأوامـر واجتنـاب النـواهي، وأسـباب الخوف في الدنيا والآخرة والتي تتلخص في ارتكـاب المخالفـات الـشرعية، وأسـاليب القرآن في الحديث عن الأمن كـالتعبير بالـسكينة والطمأنينـة والـربط علـى القلـوب،

وأخيراً: الآمنون في القرآن ومنهم إبراهيم ومحمد وموسى ـ عليهم السلام ـ ، والله أسأل أن يكون عوناً لكل المسلمين على حفظ أمنهم وطمأنينتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د/ عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني

في ١٨/ ١٢/ ١٤٢٥

الفصل الأول

مقومات الأمن في الدنيا والآخرة

المبحث الأول

مقومات الأمن في الدنيا

المطلب الأول

التوحيد والعمل الصالح

لقد بين الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم أن للتوحيد أثراً كبيراً في إيجاد الأمن والطمأنينة لدى المسلم في هذه الحياة، إذ قال ـ سبحانه ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]، وقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه فسر الظلم في الآية الكريمة بأنه الشرك وذلك عندما أشكل على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه [2] ، فأثبت ـ سبحانه ـ أن الذين آمنوا ولم يشركوا بالله ـ تعالى ـ شيئاً يعيشون حياة الأمن والطمأنينة، فلا يكدر عيشهم شيء، ولا يؤرقهم في أعمالهم منغمص من المنغصات.

وفي سورة الكهف نجد مثالاً واضحاً لمن لجأ إلى الله ـ تعالى ـ بإفراده بالعبادة وتفويض الأمر إليه وحده رغم الفتن والاضطرابات من حولهم فكان جزاءهم الربط على قلوبهم بتأمينهم وإنزال السكينة عليهم، أولئك هم أصحاب الكهف، الفتية المؤمنون الصادقون، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[3].

وهنا قاموا مقتنعـــين بما يقولون يواجهـــون الباطل فيدفعونه فإذا هو زاهق: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾(٤)، يعني هلا أقام هؤلاء الناس المشركون بربهم على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً، إنهم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك "وقد قيل إن ملكهم لمّا دعوه إلى الإيمان بالله ـ تعالى ـ أبى عليهم وهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم، وقد ربط الله عز وجل على قلوبهم لما ألهمهم الفرار بدينهم إلى الكهف، قال ابن كثير: "وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه"(٥)، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

ومن مقومات الأمن بعد التوحيد سائر الأعمال الصالحة التي تشمل فعل الخيرات واجتناب المحرمات، وقد قرر ـ سبحانه ـ ذلك في كتابه الكريم، حيث وعد الذين آمنوا من المسلمين وعملوا الصالحات بوعود عظيمة، وذكر منها تبديلهم من بعد الخوف أمناً، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(٦).

وقد روى أبو العالية عند هذه الآية أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له سراً وهم خائفون.. حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة.... وكانوا بها خائفين.. فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، إلى آخر الآية فأظهر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح (٧) .

وقد أخبر ـ سبحانه ـ في سورة الفتح أنه أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وهم أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم انقادوا لأمر الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ، والسكينة هي الطمأنينة، والمطمئن آمن بإذن الله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٨).

* ومما نبه الله ـ تعالى ـ إليه مما يجلب إلى النفس الأمن والسكينة ذكرهُ ـ سبحانه ـ باللسان مع حضور القلب، فإن ذلك من أعظم الأسباب لجلب الأمن والطمأنينة إلى نفس المسلم كما قال ـ جل شأنه ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٩)، يقول الطبري في معنى (وتطمئن قلوبهم..): أي: "تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله"(١٠)، ويقول ابن كثير: "أي تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيراً" (١١).

ولا شك أن أعظم الذكر الذي يحصل به الأمن والطمأنينة هو القرآن العظيم، كتاب الله ـ تعالى ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذ هو الشفاء والنور، وهو الرحمة والهدى والموعظة، ما أقبل عليه عبد من عباد الله ـ تعالى ـ بصدق وإخلاص إلا اطمأن قلبه، وهدأ روعه، وسكن بدنه، ولا أعرض عنه امرؤ إلا أظلم قلبه، وكثر خوفه واشتد قلقه، وفي الكتاب المنزل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ

كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(١٢).

فقول ـ سبحانه ـ: (تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إشارة إلى أثر من آثار القرآن على نفوس المؤمنين، حيث يحصل لها عند تلاوته الثبات والسكون والأدب والخشية كما كان ذلك يحصل لأصحاب رسول الله ﷺ كما رُوي عن قتادة ـ رحمه الله ـ أنه تلا هذه الآية فقال: "هذا نعت أولياء الله ـ تعالى ـ نعتهم الله ـ عز وجل ـ بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ـ تعالى ـ ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا من أهل البدع، وهذا من الشيطان"(١٣).

وقد ذكر صاحب "الإتقان" الجمع بين اقشعرار الجلود ولينها إلى ذكر الله ـ تعالى ـ فقال: "إن لينها إلى ذكر الله ـ تعالى ـ بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى"(١٤).

المطلب الثاني

الوفود إلى البيت الحرام

كان من دعاء نبي الله ـ تعالى ـ وخليله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه سأل ربه أن يجعل بيته الحرام بمكة آمناً، يأمن فيه المرء على نفسه وأهله وولده، كما قرر ذلك ـ سبحانه ـ في موضعين من كتابه، ففي سورة البقرة يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾(١٥)، وفي سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (١٦).

وقد استجاب الله ـ عز وجل ـ دعاء نبيه الخليل، فجعل بيته الحرام آمناً، يقول ـ

سبحانه ـ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(١٧).

يقول ابن سعدي: "وجعله (آمناً) يأمن به كل أحد حتى الوحش وحتى الجمادات كالأشجار. ولهذا كانوا في الجاهلية ـ على شركهم ـ يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام زاده تعظيماً وتشريفاً وتكريماً (١٨).

قال أبو العالية في قوله: (وأمناً): "أَمْناً من العدوان، لا يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون"(١٩).

ونقل صاحب "الدر المنثور" من رواية جويرية بن أسماء عن عمه قال: "حججت مع قوم، فنزلنا منزلاً ومعنا امرأة، فانتبهت وحيةٌ عليها لا تضرها شيئاً حتى دخلنا أنصاب الحرم فانسابت، فدخلنا مكة، فقضينا نسكنا وانصرفنا، حتى إذا كنا بالمكان الذي تطوقت عليها فيه الحية وهو المنزل الذي نزلنا، فنامت، فاستيقظت والحية منطوية عليها، ثم صفرت الحية، فإذا بالوادي يسيل علينا حيات، فنهشنها حتى بقيت عظاماً، فقلت لجارية كانت لها: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة؟ فقالت: بغت ثلاث مرات، كل مرة تلد ولداً، فإذا وضعته سجرت التنور ثم ألقته فيه (٢٠).

وقد بيّن الله ـ عز وجل ـ بأسلوب الشرط والجزاء أن من دخل البيت الحرام فإنه يكون آمناً، يقول ـ تبارك اسمه ـ: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾(٢١).

والمقصود هنا أن الله ـ عز وجل ـ جعل الحرم بلداً آمناً قدراً وشرعاً، فكانوا في الجاهلية يسفك بعضهم دماء بعض خارج الحرم، فإذا دخلوا الحرم أو لقي الرجل قاتل أبيه لم يهجروا حُرمته، ففي الإسلام كذلك وأشد والجمهور يرون أن نظام ععليه الحد وقد أمر النبي ز بقتل ابن خطل وهو متعلق بأسفار الكعبة(٢٢).

وقد بيّن الله ـ عز وجل ـ في معرض الرد على شبه الكافرين لما قالوا: ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾(٢٣) أن ما قالوه كذب وباطل حيث جعلهم ـ سبحانه ـ في بلد آمن وحرم معظم آمن منذ وضع، فكيف يكون آمناً في حال الكفر ولا يكون آمناً في حال الإيمان؟

يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وقالوا إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢٤)، وفي الآية الأخرى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٢٥).

يقول ابن جرير: "وقالت كفار قريش إن نتبع الحق الذي جئتنا به معك ونتبرأ من الأنداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا، يقول ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ : فقل ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ﴾ أو لم نمكن لهم حرماً، يقول: أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمناً على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء" (٢٦).

ويقول ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار عن عدم اتباع الهدى، حيث قالوا لرسول الله ﷺ : إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، قال الله ـ تعالى ـ مجيباً لهم: "أو لم نمكن لهم حرماً آمناً في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا وتابعوا

الحق"(٢٧).

وفي رواية قتادة في قولـه ـ سبحانه ـ (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً) قال: كـان أهـل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا فإذا خرج أحدهم قال: إنا من أهل الحرم لم يعـرض لـه أحد، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل وسلب (٢٨).

المطلب الثالث

الاصطفاء للنبوة من أجل تبليغ الرسالة

إن الله ـ عز وجل ـ عندما يرسل رسولاً إلى خلقه ويكلفه بأعباء الرسالة فلا بد أن يكون هنالك محاربون لـه، فتلك سنة الله ـ تعالى ـ في خلقه، إذ هنـاك حـق يـصول ويجول ليكون الدين كله لله ـ تعالى ـ، ويقابله فريق الباطـل الـذي يـأبى إلا اتبـاع مـا وجد عليه آباءه الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

ولأجل مدافعة الباطل وإزهاقه فإننا نجد باب الحماية والأمن للرسالة وصاحبها حتى يستكمل مشواره الذي كلّفه الله ـ تعالى ـ به ليظهره علـى الـدين كلـه ولـو كـره المشركون.

ولو تأملنا في قصة موسى مع فرعون لوجدنا كيف يدافع الله ـ عز وجـل ـ عـن رسوله وكليمه ببيان أنه سوف يحميه ويحفظه، ولـن يـستطيع فرعـون وجنـوده إيـذاءه أبداً، وذلك عندما ظهر شيء من الخوف المتمثل فيما يمكن أن يصدر من فرعـون بـأن يفرط على موسى وأخيه أو أن يطغى:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن

يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(٢٩)

وقوله ـ سبحانه : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ إشارة إلى ما يمكن حدوثه من فرعون وهو الفرط عليهما بالمبادرة بالعقوبة والإيقاع بهما قبل تبليغه الرسالة، وإقامة الحجة عليه.

وقوله: (أو أن يطغى) يعني يتمرد عن الحق ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه.

وقد جاء تأمينهما من قبل من يملك الأمر من قبل ومن بعد: أي أنتما بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما (٣٠).

ولما أمره الله ـ عز وجل ـ بأن يلقي عصاه اهتزت اهتزازاً أي سعت سعياً شديداً كأنها جان وهو ذكر الحيات، فاستولى الرعب على قلبه قال الله ـ عز وجل ـ له: ﴿أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾(٣١).

يقول ابن سعدي معلقاً على قوله ـ سبحانه ـ ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾:"هذا أبلغ ما يكون في التأمين وعدم الخوف، فإن قوله: (أقبل) يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله وهو لم يزل الأمر المخوف، فقال: (ولا تخف) أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من

المكروه، فقال لـه ـ سبحانه ـ (إنـك مـن الآمـنين) فحينئـذٍ انـدفع المحـذور مـن جميـع الوجوه، فأقبل موسى ـ عليه السلام ـ غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئناً واثقاً بخـبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه"(٣٢).

وأما رسولنا محمد ﷺ فقد قـرر الله ـ عـز وجـل ـ موضـوع أمنـه وحفظـه مـن الأعداء في غير ما آية من كتابه.

يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾(٣٣).

"هذا أمر من الله ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ إبلاغ اليهود والنصارى مـن أهـل الكتابين الذين قصّ الله ـ تعالى ـ قصـصهم في سـورة المائـدة وذكـر معـايبهم وخبـث أديانهم، واجتراءَهم على ربهم، وتوثبهم على أنبيائهم وتبديلهم كتابه، وتحريفهم إياه، ورداءه مطاعمهم ومآكلهم وسائر المشركين غيرهم ما أنزل عليـه فـيهم مـن معـايبهم والإزراء عليهم والتقصير بهم والتهجين لهم وما أمرهم به ونهاهم عنـه وأن لا يـشعر نفسه حذراً منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ما قام فيهم بـأمر الله ـ تعـالى ـ ولا جزعـاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه، وأن لا يتقي أحداً في ذات الله ـ تعالى ـ فإن الله ـ تعالى ـ كافيه كل أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهـه، وأعلمـه ـ تعالى ذكره ـ ذكره أنه إن قصّر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم فهـو في تركـه تبليـغ ذلك وإن قلّ ما لم يبلغ منه فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لـو لم يبلـغ من تنزيله شيئاً"(٣٤).

ولا شك أن قولـه ـ سبحانه ـ (والله يعصمك مـن النـاس) يفيـد أن أعـداءه لا

يمكن أن يصلوا إلى قتله ولا قهره ولا أسره كما قال ـ سبحانه ـ في الآية الأخرى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣٥]، وفي ذلك كله دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ إذ كان من أخبار الغيوب التي وجد مخبرها على ما أخبر به؛ لأنه لم يصل إليه أحد بقتل ولا قهر ولا أسر مع كثرة أعدائه المحاربين لـه مصالتةً، والقصد إلى اغتياله مخادعة نحو ما فعله عامر بن الطفيل حيث تآمر على قتله فعصمه الله ـ تعالى ـ منه وانتقم منه فأهلكه بالغدة [٣٦].

وقد جاء في سنن الترمذي من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فأخرج رأسه من القُبة فقال: أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله[٣٧].

هذه نماذج من تأمينه ـ سبحانه ـ لأنبيائه ورسله لتبليغ رسالته للناس، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الحديث عن الآمنين في القرآن، وذلك في الفصل الرابع من هذا البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ.

المطلب الرابع
النكــــاح

إن من أعظم نعم الله ـ عز وجل ـ على عباده إباحته ـ سبحانه ـ للنكاح، والذي به يستقر المرء، ويطمئن بعد وحشة العزوبة واضطرابها، وذلك ما ذكرنا به ربنا ـ جل وعلا ـ في كتابه إذ يقول ـ سبحانه ـ في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣٨].

"هذه آية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله ـ تعالى ـ مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ.

وهي آية تنطوي على عدة آيات منها أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعله من صنف آخر، لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة في قوله: (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)"[٣٩].

وقوله ـ سبحانه ـ: (لتسكنوا إليها) فيه إشارة إلى الطمأنينة والسكينة التي يجدها المتزوج بعد زواجه، إذ "السكون هنا مستعار للتأنس وفرح النفس، لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم كما قالوا: اطمأن إلى كذا وانقطع إلى كذا"[٤٠].

وهذا كله مشاهد ومجرب، فإن العزب غالباً ما يعيش مضطرباً قلقاً، فإذا تزوج هدأت نفسه، واطمأن قلبه، وذلك لأنَّ "أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة، وذلك أن الفرج إذا تحمل فيه هيج ماء الصلب إليه، فإليها يسكن وبها يتخلص من الهياج، وللرجال خُلِق البضع منهن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَذَرُونَ

مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم ﴾[٤١]، فأعلم الله ـ عز وجل ـ الرجال أن ذلك الموضع خُلق منهن للرجال، فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج، فإن منعته فهي ظالمة، وفي حرج عظيم"[٤٢]، وقد ثبت في الحديث من رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح"[٤٣].

وفي لفظ آخر: "والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها"[٤٤].

وهكذا نجد "التعبير القرآني الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس (لتسكنوا إليها) (وجعل بينكم مودة ورحمة)..

(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحوٍ يجعله موافقاً للآخر، ملبياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجد أن في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد"[٤٥].

* وهنا أمر مهم يجب أن يُلفت النظر إليه وهو النعمة العظيمة بإباحة الله ـ تعالى ـ للنكاح، إذ لو لم يكن مشروعاً لوقع البلاء، وانتشرت الجرائم، ولم يأمن المرء على عرضه، فلله الحمد من قبل ومن بعد..

ولذا وجب على العلماء والحكام دعوة الناس إلى التيسير في أمور النكاح، ليكون ذلك سبباً في النجاة من الفتن كبيرها وصغيرها، لا سيما في هذا الزمان الذي

انتشر فيه دعاة الفجور وتجار الأعراض الذين قال الله فيهم: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[٤٦]، كما يجب على الدعاة بذل النصح والتوجيه لشباب الإسلام وفتياته، ببيان فضائل النكاح، ومقاصده العظيمة، وتحذيرهم من شبهات المبطلين والشهوانيين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وليقطعوا بذلك حبائل الشيطان ووساوسه إلى أولئك الفتيان والفتيات بأنه لا زال في العمر متسع، فلْيؤخروا النكاح حتى يستعدوا له استعداداً تاماً؛ ليغريهم بعد ذلك بالوقوع في الفواحش والنظر المحرم، فيندموا عند ذلك، ولات ساعة مندم.

المطلب الخامس

الدعـــــــاء

إن اللجوء إلى الله ـ تعالى ـ بالدعاء والتضرع سبب رئيس في أمن المرء وطمأنينته وهدوء أعصابه خاصةً إذا ادلهمت الفتن، واضطربت الصفوف، فكثر الخلاف، وساد الشقاق والنزاع، وخاف الناس من إتيان نتائج ذلك في حروب طاحنة لا تبقي ولا تذر.

وفي كتاب الله العزيز ما يبين لجوء المؤمنين لربهم عند ملاقاة عدوهم؛ لأنهم يدركون أثر ذلك في تأمينهم ونزول السكينة عليهم، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾[٤٧].

وقد بين الله ـ عز وجل ـ لنا في القرآن أن دعاء النبي ﷺ طمأنينة وأمان لأصحابه. يقول ـ سبحانه ـ ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ

عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾[٤٨].

هذه الآية الكريمة حث للنبي ﷺ على أن يأخذ من أموال أصحابه الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص، (وصل عليهم) أي ادع لهم، فإن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله ـ تعالى ـ قد عفا عنهم، وقبل توبتهم [٤٩].

وقوله: (سكن لهم) أي تثبيت لقلوبهم [٥٠].

وفي "روح المعاني": "وفسروا السكينة بنور يستقر في القلب، وبه يثبت على التوجه إلى الحق ويتخلص عن الطيش" [٥١].

وبمثل هذا الذي تقدم من تفسير السكن بالطمأنينة وتثبيت القلب فسره آخرون، وتفسيرهم كله صواب؛ إذ لا تعارض، قال الشافعي ـ يرحمه الله ـ: "والصلاة عليهم الدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم، فحق على الوالي إذا أخذ صدقة امرئ أن يدعو له، وأحب أن يقول: آجرك الله فيما أعطيت وجعلها لك طهوراً، وبارك لك فيما أبقيت"[٥٢].

وقال الجّصاص: "وقوله: (سكن لهم) يعني ـ والله أعلم ـ مما تسكن قلوبهم إليه وتطيب به نفوسهم، فيسارعون إلى أداء الصدقات الواجبة رغبة في ثواب الله ـ تعالى ـ وفيما ينالونه من بركة دعاء النبي ز [٥٣].

وقال ابن عاشور: "والسكن: بفتحتين ما يُسكن إليه، أي يطمأن إليه ويرتاح به. وهو مشتق من السكون بالمعنى المجازي، وهو سكن النفس، أي سلامتها من الخوف ونحوه، لأن الخوف يوجب كثرة الحذر، واضطراب الرأي، فتكون النفس كأنها غير مستقرة، ولذلك سمي ذلك قلقاً؛ لأن القلق كثرة التحرك.. أو لأن دعاءه لهم يزيد نفوسهم صلاحاً وسكوناً إلى الصالحات؛ لأن المعصية تردد واضطراب"[٥٤].

وبهذا يعلم أن الله ـ عز وجل ـ حث نبيه محمداً ﷺ على الدعاء لأصحابه عند أخذ صدقاتهم لأن ذلك مما يثبت قلوبهم، وينزل السكينة عليهم، فيعيشون حياة مطمئنة، لا اضطراب فيها ولا قلق.

ولم يكن ذلك مسلكه ﷺ عند أخذ الصدقات فحسب، بل كان هذا ديدنه في شئونه الأخرى مع أصحابه، لعلمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن ذلك يثبت قلوبهم ويطمْئِن نفوسهم، كما ثبت في الحديث أنه لّما خاض الناس في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: "هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشة بن محصن ـ رضي الله عنه ـ فقال: ادع الله أن يجلعني منهم فقال: "أنت منهم"(٥٥).

ومن ذلك ما رواه أحمد وغيره في شأن الشاب الذي أتى النبي ﷺ فقال: ائذن لي بالزنا.. وفيه أن النبي ﷺ دعا له فقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه"، فكانت دعوته ﷺ لهذا الشاب سبباً في حصول الأمن والطمأنينة بالإيمان والبعد عن كل حرام، حيث جاء في نهاية الحديث قوله: "فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"(٥٦).

وهكذا يجب أن يتخذ العلماء والدعاة من ذلك درساً ومنهجاً يسيرون عليه في حياتهم، في الرفق بأصحابهم وأتباعهم، وتثبيتهم وتسكين مخاوفهم بالتزام الدعاء لهم بما يصلح شأنهم، ويقوي عزائِمَهم، فإن في ذلك أثراً عظيماً عليهم كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡ ﴾(٥٧)، وليكن الدعاء لهم بصدق وإخلاص وخضوع حتى يؤتي ثماره ـ بإذن الله ـ، وما ذلك على الله بعزيز، إذ هو ـ سبحانه ـ المجيب لمنْ دعاه، حيث وعد عباده بذلك فقال: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾(٥٨).

المطلب السادس

الاستعداد لمواجهة الأعداء

إن عدم الاستعداد لمواجهة أي عدو يمكن أن يتربص بدولة أو بلدة بعينها سبب رئيس في إتاحة الفرصة الثمينة لنيل ذلك العدو منها في أقرب وقت، لأن الباب أمامه مفتوح، وعدته للغزو جاهزة، لا سيما إذا كانت دولة غنية، فالأمر ـ والحال كذلك ـ مغرٍ جداً.

ولّما كان عدمُ الاستعداد لأي أحدٍ مريد التربص سبباً محتملاً لغزو عدو خارجي أو داخلي، مع ما يتلو ذلك من المجازر والفظائع بالقضاء على الدين والنفس والعرض والمال، لما كان الأمر كذلك أمر الله ـ تعالى ـ بإعداد العدة لمواجهة العدو حتى تكون الدولة المسلمة في مأمن من عدوها، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(٥٩).

هنا أمر بإعداد ما استطاعه المسلمون من قوة لمواجهة العدو، وكلمة "قوة" نكرة، فلذلك تعم جميع أنواع القوة الممكنة، فيدخل في ذلك السيوف والرماح والأقواس والنبال مما كان في جيوش العصور الماضية، ويدخل في ذلك كذلك القوة التي تعد للمواجهة في عصرنا هذا كالدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ (٦٠)، والرشاشات، والبنادق، والمراكب البرية، والبحرية، والحصون، والقلاع، والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي، والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم بها شر أعدائهم، وهكذا فكل شيء موجود يكون أكثر إرهاباً، والنكاية به أشد فإنه يكون مأموراً بالاستعداد به، والسعي لتحصيله، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة

وجب ذلك لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب [٦١].

فإن قال قائل: ولِمَ يحمل لفظ قوة على العموم مع أن النبي ﷺ قال: "ألا إن القوة الرمي"؟[٦٢].

والجواب:

إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس فيه ما يدل على أنه مراد به الرمي خاصة دون سائر معاني القوة، إذ الرمي أحد معاني القوة، والنبي ﷺ قد قال: "ألا إن القوة الرمي" ولم يقل: دون غيره [٦٣].

إنه لا بد أن يكون للإسلام قوة ينطلق بها في الأرض ليكون الدين كله لله ـ تعالى ـ، وأول شيء تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يُصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها [٦٤]، والأمر الثاني: أن ترهب هذه القوة أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها القوة [٦٥].

وكما هو معلوم فإن الإرهاب يعني: جعل الغير راهباً أي خائفاً[٦٦]، ذلك "أن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرأ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمناً من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم: يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضاً إذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم" [٦٧].

فالهدف واضح إذاً، وهو "إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله ـ تعالى ـ الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في

الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليكون الدين كله لله" [٦٨].

المطلب السابع
الصدق في مواجهة الأعداء

إن من المعلوم في سنن الله ـ عز وجل ـ في عباده أنه ـ سبحانه ـ لا يعطيهم الثمرة التي يرجونها في أي عمل يعملونه إلا إذا أتوا بأسبابه، وتجنبوا موانعه.

وقد بين الله ـ عز وجل ـ في كتابه أنه ألقى النعاس على أعين المسلمين يوم بدر تأميناً لهم، كما أنزل المطر عليهم للربط على قلوبهم، وذلك لأنهم صدقوا الله ـ تعالى ـ في مواجهة عدوهم، فكان الجزاء من جنس العمل، وقد أثبتوا صدقهم ـ رضي الله عنهم ـ عندما خرجوا جميعاً لقتال قريش، حتى إن سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قام بعد أن سمع النبي ﷺ يقول: "أشيروا عليّ أيها الناس" فتكلم وقال: "والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟" قال: "أجل" قال: "فقد آمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فامض يارسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله"[٦٩].

فهذا الإيمان العميق الذي استقر في قلوب تلك الفئة المؤمنة الصابرة الصادقة كان سبباً كبيراً من أسباب تأمينهم والربط على قلوبهم بما يسره ـ سبحانه ـ من وسائل جلب الأمن والطمأنينة لهم ـ رضي الله عنهم ـ يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ... ﴾[٧٠]، ويقول: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ (٧١).

يذكر سبحانه في آية آل عمران سبب إلقاء النعاس على المؤمنين وهو حصول الأمن لهم، وهو مطلب مهم جداً حال قتال العدو، والمعنى: ثم أغشاكم بالنعاس بعد الهزيمة، وسمّى الإغشاء إنزالاً لأنه لّما كان نعاساً مقدراً من الله ـ تعالى ـ لحكمة خاصة، كان كالنازل من العوالم المشرفة كما يقال نزلت السكينة.

والأمنة: الأمن، والنعاس: النوم الخفيف، أو أول النوم، وهو يزيل التعب ولا يغيِّب صاحبه، فلذلك كان أمنة إذ لو ناموا نوماً ثقيلاً لأخذوا، قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: إن أبا طلحة الأنصاري (٧٢) ـ رضي الله عنه ـ قال: "غشينا ونحن في مصافنا يوم أحد...، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه؛ فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ ... ﴾(٧٣)...

وقد استجد بذلك نشاط الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ونسوا حزنهم؛ لأن الحزن تبتدئ خفته بعد أول نومة تعفيه كما هو مشاهد في أحزان الموت وغيرها..

وكان مقتضى الظاهر أن يقدم النعاس ويؤخر (أمنة) لأن (أمنة) بمنزلة الصفة أو المفعول لأجله، فحقه التقديم على المفعول كما جاء في آية الأنفال، ولكنه قدم الأمنة هناك تشريفاً لشأنها، لأنها جعلت كالمنزل من الله ـ تعالى ـ لنصرهم، فهو كالسكينة، فناسب أن يجعل هو مفعول (أنزل) ويجعل النعاس بدلاً منه (٧٤).

وفي "تفسير ابن كثير": "يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ ... ﴾... يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله ـ عز وجل ـ سينصر رسوله ﷺ وينجز له مأموله، ولهذا قال: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني يغشاهم النعاس من القلق والجزع

والخوف"[٧٥].

ومثل هذا الذي تقدم في سورة آل عمران ما جاء في سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾[٧٦].

روى محمد بن شهاب الزهري ـ من التابعين ـ في هذه الآية قال: "بلغنا أن هذه الآية أنزلت في المؤمنين يوم بدر، فأغشاهم الله ـ تعالى ـ من النعاس أمنة منه"[٧٧].

وعن قتادة بن دعامة السدوسي من أئمة التابعين في هذه الآية أيضاً: "كان النعاس نعاسين، نعاس يوم بدر ونعاس يوم أحد"[٧٨].

وفي الظلال: "أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره.. لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم، والطمأنينة تفيض على قلوبهم.. ولقد كنت أمر على هذه الآيات وأقرأ أخبار هذا النعاس، فأدركه كحادث وقع، يعلم الله سره،ويحكي لنا خبره.. ثم إذا بي أقع في شدة وتمر عليّ لحظات من الضيق المكتوم، والتوجس القلق، في ساعة غروب.. ثم تدركني سِنةٍ من النوم لا تتعدى بضع دقائق وأصحو إنساناً جديداً غير الذي كان.. ساكن النفس، مطمئن القلب، مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة.. كيف تم هذا؟ كيف وقع هذا التحول المفاجئ؟ لست أدري! ولكني بعدها أدرك قصة بدر وأحد، أدركها هذه المرة بكياني كله لا بعقلي، واستشعرها حية في حسي لا مجرد تصور...

لقد كانت هذه الغشية، وهذه الطمأنينة مدداً من أمداد الله ـ تعالى ـ للعصبة المسلمة يوم بدر"[٧٩]، كما كان نزول المطر، وإمدادهم بالملائكة سببين آخرين في تثبيت

قلوبهم لمواصلة البذل والتضحية، وكانا علامتين واضحتين على أن الله ـ عز وجل ـ معهم بنصره وتأييده.

وإن قال قائل: وكيف ينزل النعاس على المؤمنين؟

فالجواب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ: "ينزل النعاس في الرأس بسبب نزول الأبخرة التي تدخل في الدماغ، فتنعقد، فيحصل منها النعاس"[(٨٠)].

المطلب الثامن

الثقة بنصر الله ـ تعالى ـ

إن استحضار الثقة بنصر الله ـ عز وجل ـ وخاصة وقت الفتن والمحن التي يتعرض لها المسلمون سبب عظيم لحصول الأمن وتنزل الطمأنينة والسكينة على قلوب المؤمنين.

وخير شاهد على ما مضى الحال التي كان عليها رسول الله ز مع الفئة المؤمنة قليلة العدد في بداية مسيرته الدعوية، فعلى الرغم من تلك الهجمات الشرسة التي تعرضت لها دعوته ز في بداية الأمر إلا أنه ز كان آمناً على دعوته، مطمئناً إلى أنه سيأتي اليوم الذي يعلو فيه الإسلام، وينـدحر الشرك، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ آمناً مطمئناً، لأنه يصدق بوعد الله ـ تعالى ـ ويثق بنصر ربه له، والذي يقول فيه ـ سبحانه ـ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(٨١)].

ومن هنا وجب على كل مؤمن بالله ـ تعالى ـ واليوم الآخر أن يثق بنصر ربه لـه وهـو يواجـه الباطـل بكـل صـوره وأشـكاله وألوانـه في أي مجـال مـن المجـالات، في الدعوة،والجهاد، والأمر بالمعروف، وفي السياسة، والاقتصاد، وفي سائر شـئون الحيـاة، ولكن ذلك مشروط بوجود الإيمان والعمل الصالح، ولقد أخبرنا الله ـ عز وجل ـ في تنزيله بقولـه:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٨٢).

"هذا وعد مِنْ الوعود ا لصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعـد مـن قـام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تـدبيرها، وأن يمكـن لهـم وفـيهم الـذي ارتـضى لهـم، وهـو ديـن الإسلام، الذي فاق الأديان كلهًا، ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشـرفها ونعمتـه عليهـا، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شـرائعه الظـاهرة والباطنـة، في أنفـسهم، وفي غيرهـم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلـوبين ذلـيلين، وأنـه يبـدلهم مـن بعـد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه وما هو عليه إلا بـأذى كـثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهـم، وقـد رمـاهم أهـل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل، فوعدهم الله ـ عز وجل ـ هـذه الأمـور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض، والتمكن مـن إقامـة الـدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ـ تعالى ـ ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله ـ تعالى ـ، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الـصالح بمـا يفوقـون

على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام، والتمكين التام، فهذا من آيات الله ـ تعالى ـ العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله ـ تعالى ـ به ، وإنما يُسلِّط عليهم الكفار والمنافقين ويديلهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"[٨٣].

ومن الشواهد الدالة على أن الثقة بنصر الله ـ تعالى ـ سبب رئيس في حصول الأمن والاستقرار لدى المؤمنين ما ذكره ـ سبحانه ـ عن المؤمنين في غزوة الأحزاب، يوم اجتمع الأحزاب عليهم من كل صوب، من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[٨٤].

وقد بين أهل التفسير أن هذا الكلام الذي قاله المؤمنون يوم الأحزاب هو صبرهم على الابتلاء، وثقتهم في الله ـ تعالى ـ وأنه سوف ينصرهم ولن يخذلهم.

قال ابن جرير: "وقوله: ولما رأى المؤمنون الأحزاب يقول: ولّما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليماً منهم لأمر الله ـ تعالى ـ وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم الذي وعدهم بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٨٥]، ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ فأحسن الله عليهم بذلك من يقيلهم، وتسليمهم لأمره الثناء عليهم، فقال: (وما زادهم) أي اجتماع الأحزاب عليهم (إلا إيماناً) بالله و(تسليماً) لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على

الأعداء"[٨٦].

وقال ابن كثير: "أي ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب"[٨٧].

وقال الشوكاني: "ثم بين ـ سبحانه ـ ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للأحزاب ومشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبحر العباب [٨٨]، فقال: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [٨٩] الإشارة بقوله: هذا إلى ما رأوه من الجيوش أو إلى الخطب الذي نزل والبلاء الذي وهم، وهذا القول منهم قالوه استبشاراً بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجئ هذه الجنود، وأنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله"[٩٠].

المطلب التاسع

التسليم لقضاء الله وقدره

إن هنالك أمراً عظيماً يحتاج إلى تنبيه وبيان، وهو مسألة الرضى بالقضاء والقدر والتسليم لأمر الله النازل، وهذا ينبه إليه من يقفون في الصفوف الأولى في معركة الحق مع الباطل وأهله، وما ذكرته في المطلب السابق وهو الثقة بنصر الله ـ تعالى ـ ملتصق بهذا المطلب أيما التصاق، إذ لا يثق بنصر الله ـ تعالى ـ إلا من كان مؤمناً بالقضاء والقدر مسلِّماً لأمر الله ـ تعالى ـ الذي لا يقضي للمؤمن إلاّ ما كان خيراً له في آخرته وأولاه.

لقد ظهر ذلك جلياً في موقف النبي ﷺ مع أصحابه الأطهار يوم بدر وأحد والخندق، إذ كان راسخاً في قلوبهم مع ثقتهم بنصر الله ـ تعالى ـ إيمانهم بأن ما سوف

يلقونه غداً مع عدوهم إنما يجري بقدر الله ـ تعالى ـ وقضائه التام النافذ، وهذا كان سبباً رئيساً في أمنهم وطمأنينتهم ونزول السكينة عليهم.

وكان ذلك واضحاً أيضاً في موقفه ﷺ لما خرج مهاجراً إلى المدينة، والكفار يتربصون به الدوائر في كل مكان، حيث كانت نتيجة تسليمه لقضاء الله ما ذكره ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾(٩١).

وكان ذلك واضحاً أيضاً في موقف إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما ألقي في النار، وابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ لما ذكر له أبوه أنه رأى في المنام أنه يذبحه، وهنا سلّما أمرهما إلى الله ـ تعالى ـ فلم يأبه بالكفرة لما ألقوه في النار، فكانت نتيجة تسليمه لقضاء الله ـ تعالى ـ تأمينه، وجعل النار عليه برداً وسلاماً ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ ﴾(٩٢)، وكانت نتيجة تسليم إسماعيل ـ عليه السلام ـ لقضاء الله أن الله ـ تعالى ـ فداه بذبح عظيم وأمنه من الذبح: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ ﴾(٩٣).

المبحث الثاني
مقومات الأمن في الآخرة

ذكرت في المبحث الأول عدداً من المطالب التي تبين أسباب الأمن في الدنيا، مثل التوحيد والعمل الصالح، والصدق في مواجهة الأعداء، والثقة بنصر الله ـ تعالى ـ والتسليم لقضائه وقدره، وهذه كذلك من مقومات الأمن في الآخرة، وقد ذكر الله ـ

عز وجل ـ لنا في القرآن جملة من الأسباب التي تجلب للمؤمن الأمن يوم القيامة، وكلها تندرج تحت موضوع التقوى والعمل الصالح، ولكنها وردت بألفاظ مختلفة، سوف أتناولها باختصار في الأمور التالية:

الإيمان والعمل الصالح

قد نبهنا الله ـ عز وجل ـ إلى أهمية الإيمان والعمل الصالح وأثره في إيجاد الأمن يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين خائفين فزعين، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٩٤].

يقول ابن جرير: "فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه وقبل منهم ما جاؤوه به من عند الله ـ تعالى ـ وعمل صالحاً في الدنيا فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذي أعده الله ـ تعالى ـ لأعدائه وأهل معاصيه، ولا هم يحزنون عند ذلك على ما خلفوا وراءهم في الدنيا"[٩٥].

ومن يتأمل الكلمات التي يقولها العبد المؤمن يوم القيامة عندما يؤتى كتابه بيمينه يتضح لـه ما أفاض الله ـ تعالى ـ عليه من السكينة والاطمئنان، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٩٦].

هكذا يظهر موقف المؤمن بالله واليوم الآخر، المستعد لذلك اليوم بالعمل الصالح الذي يقربه إلى الله ـ تعالى ـ، إنه يقول في ثقة واطمئنان وهو فرح مسرور، ولأجل أن يطلع الخلق على ما مَنَّ الله ـ عز وجل ـ عليه به من الكرامة: ﴿ هَآؤُمُ

ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ أي: "دونكم كتابي، فاقرؤوه، فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلى هذه الحال ما مَنّ الله ـ عز وجل ـ به عليّ من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل"(٩٧).

فعل الحسنة والتقوى

لقد جاء البيانُ من رب العالمين في كتابه المبين بأن من جاء بالحسنة واتبع هداه واتقاه فإنه يكون من الناجين يوم القيامة، الآمنين في ظل عرشه ـ سبحانه ـ.

يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(٩٨).

قال ابن جرير: "يقول ـ تعالى ذكره ـ: من جاء بتوحيده والإيمان به وقول: لا إله إلا الله مؤقناً به قلبه فله من هذه الحسنة خير يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ـ تعالى ـ منها الجنة ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور"(٩٩).

وفي شأن التقوى وأثرها في إيجاد الأمن لصاحبها يوم القيامة يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾(١٠٠).

قال الطبري: "يعني فهم آمنون في أهل القيامة من عقاب الله ـ تعالى ـ غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله ـ تعالى ـ في الدنيا، واتبعوا أمره وهداه وسبيله، ولا هم يحزنون يومئذٍ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا"(١٠١).

ونحو مما سبق قرره ـ سبحانه ـ في سورة الحجر، إذ يقول ـ جل شأنه ـ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١٠٢)، ويقول: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا

فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١٠٣)،

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١٠٤).

فإن قال قائل: ما الحسنة؟ وما التقوى؟ قيل: الحسنة: توحيد الله ـ تعالى ـ والإيمان به، وفعل الخير وفق الكتاب والسنة، والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله ـ تعالى ـ وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

الإنفاق في سبيل الله ـ تعالى ـ

الإنفاق في سبيل الله ـ تعالى ـ نوع من العمل الصالح الذي تقدم ذكره، والذي به ينال المؤمن الأمن يوم الفزع، يقول ـ جل شأنه ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ (١٠٥).

فقوله ـ سبحانه ـ: (ولا خوف عليهم) يعني أنهم آمنون في أهوال القيامة من عذاب الله ـ تعالى ـ بسبب ما قدموه في دنياهم من أموال في سبيل الله ـ تعالى ـ في شتّى أبواب الخير وعلى رأسها الجهاد في سبيله ـ تعالى ـ لتكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولكنَّ حصول الأمن للمنفق مشروط بشرطين مهمين ذكرهما الله ـ تعالى ـ في هذه الآية:

الأول: ألاّ يكون في إنفاقه مَنٌّ على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، كأن يعدد عليه إحسانه أو يطلب منه مقابلته.

الثاني: ألاّ يكون في إنفاقه أذى للمنفق عليه بلسانه أو بفعله كأن يقول: أنت أبداً فقير! أو يمد صدقته إليه وهو مكفهر الوجه (١٠٦)، نعوذ بالله ـ تعالى ـ من ذلك.

وقد ذكر عن أحد الأسخياء من المؤمنين وهو حسان بن أبي سنان ـ يرحمه الله (١٠٧) ـ أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعتقهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو (١٠٨).

ومن هنا يعلم أن مسألة الإنفاق بصدق وإخلاص ليست بالأمر الهين، وليس كل منفقٍ ينال هذه الدرجة العظيمة التي ذكرها الله ـ تعالى ـ، فعلم بذلك أن على العبد المؤمن أن يتحرى في نفقته الصدق والإخلاص لله وحده، وليْتذكرْ أحد السبعة الذين يظلهم الله ـ تعالى ـ تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله في قوله ﷺ : "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله" (١٠٩).

الخوف من يوم القيامة

جاء التصريح بذلك في سورة الإنسان حيث ذكر سبحانه جزاء المؤمنين لّما خافوا يوم القيامة وهم صادقون في خوفهم بخلاف الكذّابين المخادعين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، كان جزاء هؤلاء المؤمنين الخائفين من يوم القيامة العاملين لأهواله وشدائه أن أمنهم ـ تبارك اسمه ـ من خوفهم، فجعلهم آمنين مطمئنين، جزاء وفاقاً:

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١١٠).

وهكذا كان جزاء الخائف من يوم القيامة بأداء الطاعات واجتناب المحرمات أن يؤمنه رب العالمين يوم الفزع الأكبر، ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى

كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [١١١].

وقد رأينا كيف يعجل السياق القرآني بذكر وقياتهم من شر ذلك اليوم الذي كانوا يخافونه ليطمئنهم في الدنيا وهم يتلقون هذا القرآن ويصدقونه، ويذكر أنهم تلقوا من الله ـ تعالى ـ نضرة وسروراً، لا يوماً عبوساً قمطريراً أي شديد الجهمة والشر، وضنكاً ضيقاً، جزاء وفاقاً على خشيتهم وخوفهم، وعلى نداوة قلوبهم، ونضرة مشاعرهم[١١٢].

الفصل الثاني

أسباب الخوف في الدنيا والآخرة

المبحث الأول

أسباب الخوف في الدنيا

المطلب الأول

الإشراك بالله تعالى

تقرر معنا فيما تقدم أن الإيمان والعمل الصالح سبب لحصول الأمن والاستقرار والطمأنينة، وهذا الأمر قد بيّناه بأدلته، وعليه فإن الإعراض عن الله ـ تعالى ـ بالكفر به والشرك معه سواه عامل رئيس في نزول الخوف والرعب في قلوب الكافرين والمشركين.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [١١٣].

هنا في ضمن البيان للمؤمنين أن الله ـ تعالى ـ ناصرهم إخبار لهم وبشارة بأنه

سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من الشرور.

وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده ولياً وناصراً من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه ـ سبحانه ـ وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى، وذلك أن المشركين بعدما انصرفوا من وقعة أحد تشاوروا بينهم وقالوا: كيف ننصرف بعد أن قتلنا منهم من قتلنا، وهزمناهم، ولّما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله ـ تعالى ـ الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، وذلك ما ذكره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الآية الكريمة، قال: قذف الله ـ تعالى ـ في قلب أبي سفيان الرعب، فرجع إلى مكة.. (١١٤).

وهذا الذي ذكره الله ـ عز وجل ـ من إلقائه الرعب في قلوب القوم من أعظم النصر للمؤمنين، حيث كبتهم، فرجعوا خائبين كما وعد الله ـ عز وجل ـ، وقد ثبت في السنة "نصرت بالرعب على العدو"(١١٥).

ولقد كان السبب في حصول الرعب في قلوب هؤلاء أمراً عظيماً استفحل عندهم وهو شركهم بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ذلك أنهم اتخذوا من دون الله ـ تعالى ـ الأنداد والأصنام التي يدعونها ويطلبون حوائجهم منها وهي لا تملك لهم طوعاً ولا تدفع عنهم ضراً، هكذا اتخذوها حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم كان المشرك مرعوباً من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذه حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظم ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾(١١٦)، وقد حُدثنا أن الجنود الروس لما غزوا أفغانستان ظلماً وعدواناً وواجهوا

المؤمنين الصادقين، كانوا إذا سمعوا منهم صيحة (الله أكبر) يبولون على ثيابهم رعباً وفزعاً!

ومثل ما تقدم ما ذكره الله ـ عز وجل ـ في سورة الأنفال بقوله: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾(١١٧).

قال ابن جرير معلقاً على الآية الكريمة: "سأرعب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم وأملؤها فرقاً حتى ينهزموا عنكم"(١١٨).

ومثل ما تقدم قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾(١١٩).

المطلب الثاني

الابتـــلاء

لقد تقرر من خلال تأمل آيات القرآن الكريم أن نزول الخوف في قلوب الناس لا يلزم أن يكون لجرم ارتكبوه أو معصية انتهكوها، ولكنه يقع أحياناً للابتلاء وتمحيص المؤمنين، كما قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ

أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(١٢٠).

إن مما يلفت الانتباه هنا أنه عُبِّر عن الابتلاء بالخوف بصيغة من صيغ التقليل وذلك في قوله: (بشيء من الخوف) وذلك لغاية واضحة وهي بيان رحمة الله ـ تعالى ـ بخلقه من المؤمنين، ذلك أن ما دفعه عنهم من الشرور والمخاوف أكثر مما أصابهم، وهذا ما قرره المفسرون في كتب التفسير، وهنا أذكر نماذج لذلك:

جاء في تفسير أبي السعود:

"(ولنبلوكم) لنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء (بشيء من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك، فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة، وكذا ما يصيب به معانديهم، وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنه شيء يسير، له عاقبة حميدة"(١٢١).

وقال الألوسي:

"فالظاهر والله ـ تعالى ـ أعلم أن "مِنْ" للتبعيض والمراد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتبعيض التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا قادر على أن يجعل ما يبتليهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول، وأنه مهما اندفع عنهم ما هو أعظم في المقدور فإنما يدفعه عنهم إلى ما هو أخف وأسهل لطفاً بهم ورحمة، ليكون هذا التنبيه باعثاً لهم على الصبر، وحاملاً على الاحتمال، والذي يرشد إلى هذا سبق الإخبار بذلك قبل حلوله لتوطين النفوس عليه، فإن المفاجأة بالشدائد شديدة الألم، والإنذار بها قبل وقوعها مما يسهل موقعها، وإذا فكّر العاقل فيما يبتلى به من أنواع

البلايا وجد المندفع منها عنه أكثر مما وقع فيه بأضعاف لا تقف عنده غاية، فسبحان اللطيف بعباده"[١٢٢].

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور:

"جيء بكلمة (شيء) تهويناً للخبر المفجع، وإشارة إلى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله ـ تعالى ـ على بعض الأمم عقوبة كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[١٢٣]، ولذلك جاء هنا بكلمة (شيء)... وما ذكر هذه الكلمة (شيء) إلا والقصد أن يدل على أن تنكير اسم الجنس ليس للتعظيم ولا للتنويع، فبقي له الدلالة على التحقير"[١٢٤].

ومن هنا نخلص إلى عدة أمور:

١. إن الإخبار عن الابتلاء بالخوف بصيغة (شيء) إشارة إلى التقليل، وأن ما يصيب المؤمنين من الخير أكثر من ذلك وليس ثمة مقارنة.

٢. إن الله ـ تعالى ـ أخبرهم بما سيقع لهم ـ أعني المؤمنين ـ من الخوف لأجل أن يوطنوا عليه نفوسهم.

٣. هذا الخوف يراد به المعنى المتبادر إلى الذهن وهو ما يصيب المسلمين من الفزع بسبب تألب الأعداء عليهم، نحو ما حصل للصحابة من القلة واجتماع المشركين عليهم بعد الهجرة كما وقع يوم الأحزاب عندما جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حيث زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر [١٢٥].

المطلب الثالث

جحود النعم

لما كان معلوماً في الدين أن الشكر على النعم قولاً وفعلاً سبب رئيس لرضى الله ـ تعالى ـ وحصول الأمن والطمأنينة كان معلوماً كذلك أن الإعراض عن الله ـ تعالى ـ بكفران النعم والاستكبار عن الاستجابة للحق سبب لحصول العذاب وفقدان الأمن بانتشار الخوف والفزع والاضطراب، ومصداق ذلك كتاب الله ـ تعالى ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾(١٢٦).

جاء عن أهل التفسير أن هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ لأهل مكة كفار قريش، كانوا آمنين مستقرين، ثم جحدوا آلاء الله ـ تعالى ـ عليهم، والتي من أعظمها بعثة محمد ﷺ حيث كذبوه وآذوه بأشنع الألفاظ وأرذل الأفعال، كما أخبر عنهم ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾(١٢٧)، ولقد كانت عاقبة أمرهم: أن أذاقهم الله ـ تعالى ـ لباس الجوع والخوف بسبب صنيعهم ذلك، وذلك حين هاجر ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة، فألقى ربنا ـ سبحانه ـ الرعب في قلوبهم من سطوته وسراياه وجيوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله ـ تعالى ـ على رسوله ﷺ (١٢٨).

وهنا نجد أنّه "شُبه أثر الخوف وضرره المحيط بهم باللباس الغاشي للّابس، فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد، فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة"[١٢٩].

وللتأكيد على عظم جرم أهل مكة وما نالهم جزاء صنيعهم قال الله ـ تعالى ـ فيما بعدُ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[١٣٠].

قال ابن جرير: (فأخذهم العذاب) ذلك هو لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة.."[١٣١].

وهذا الذي ذكره الله ـ تعالى ـ عن أهل مكة وما أصابهم ليس خاصاً بهم وحدهم، ولكنه عام في كل من خالف أمر ربه، وعصى، وهو عام في كل من رزقه الله ـ تعالى ـ من الخيرات، وأدرّ عليه نعمه وآلاءه، فقابل ذلك بالصدود عن دينه وشرعه، وتنكب طريق الاستقامة، وجرى وراء الشهوات والملذات، إنه مخاطب بهذه الآية الكريمة خطاباً مباشراً، والعاقل من استيقظ من غفلته قبل وقوع الأمر العظيم، والخطب الجسيم، ولنا في قصص الماضين والحاضرين عبرة وعظة، فيا ليت شعري مَنِ المعتبر قبل حلول النقمة؟ ومن المتعظ قبل نزل الكرب والشدة؟

إن ذلك سنة الله ـ في خلقه، فإنك كما تدين تدان، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[١٣٢]، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[١٣٣].

المطلب الرابع

موالاة الأعداء

إن المرء عندما ينقض عهده الذي أبرمه مع الآخر على أمر ما، كأن يعاهده على السِلم والمصالحة وإيقاف القتال ثم ينقض ذلك العهد، فيتحالف مع عدو الطرف الآخر على قتاله وحربه، إن هذا المرء مهدد من رب العالمين بالانتقام منه وزوال أمنه وطمأنينته، وإحلال الخوف والرعب مكان الأمن والاستقرار.

ولقد صدر هذا الفعل من بني قريظة، عندما نقضوا الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ وظاهروا الأحزاب من قريش وغطفان (١٣٤) على المسلمين، فأخرجهم الله ـ تعالى ـ من حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب، وحكم فيهم سعد بن معاذ بقتل مقاتلتهم، وسبي نسائهم وذريتهم، وقسم أموالهم، كما ثبت في الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: "أصيب سعد يوم الخندق، رماه يقال له: حبان بن العرقة (١٣٥)، رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، واللهِ ما وضعتُهُ، أُخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فردّ الحكم إلى سعد. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم..." (١٣٦).

وفي هذا الشأن يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقًا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (١٣٧).

يقول ابن كثير: "ظاهروهم: أي عاونهم الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ، (من أهل الكتاب) يعني بني قريظة من اليهود، من بعض أسباط بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فعليهم لعنة الله، (من صياصيهم) أي من حصونهم...، (وقذف في قلوبهم الرعب) وهو الخوف لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب النبي ﷺ وليس من يعلم كمن لا يعلم، وأخافوا المسلمين، وراموا قتلهم، فانعكس عليهم الحال، وانقلب إليهم القال، وانهزم المشركون، ففازوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين، فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ فالذين قتلوا هم المقاتلة والأُسراء هم الأصاغر والنساء"(١٣٨).

وقد أخرج الطبري عن مجاهد: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال: "قريظة، أنزلهم من صياصيهم"(١٣٩).

وأخرج الطبري كذلك عن قتادة في قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، قال: هم بنو قريظة، ظاهروا أبا سفيان، وراسلوه، فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبي الله... (١٤٠)

وقد قال بعضهم: إنهم ليسوا بني قريظة، وإنما هم بنو النضير، وهذا ليس بصحيح؛ قال الجصّاص بعد أن نقض هذا القول، وهو قول من يقول: إنهم بنو النضير قال: "لأن النبي ﷺ لم يقتل بني النضير، ولم يأسرهم، وإنما أجلاهم عن بلادهم"(١٤١).

وقال ابن حجر في "فتح الباري" في معرض ردِّه على من استدل لغزوة بني النضير بقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾(١٤٢) ، وقال (أي المستدل): إن ذلك في قصة الأحزاب، قال ابن حجر: "وهو استدلال واهٍ، فإن الآية نزلت في شأن بني قريظة، فإنهم هم الذين ظاهروا الأحزاب، وأما بنو النضير فلم يكن لهم في الأحزاب ذكر..." (١٤٣) .

المطلب الخامس

الجبن عن القتال

جاء في القاموس: "رجل جبان كسحاب وشدّاد وأمير: هيوب للأشياء لا يقدم عليها، والجمع جبناء، وهي جبان وجبانة وجبين، وقد جَبُن ككَرُمَ، جبانةً وجُبناً بالضم، وبضمتين. وأجبنه: وجده أو حسبه جباناً"(١٤٤) .

وبما ذكره صاحب القاموس يتضح ما نقصد الإشارة إليه وهو أن الجبن هو الهيبة والخوف من الإقدام على شيء معين، وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ لنا صفة من صفات اليهود وهي الجبن عن القتال بدليل كونهم: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ ﴾ وعلة ذلك كله هو الخوف الذي زرعه الله ـ تعالى ـ في قلوبهم من المؤمنين الصادقين والذين كان يرأسهم محمد بن عبدالله ﷺ، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ لأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ ﴾(١٤٥) .

وهؤلاء المذكورون في الآية الكريمة هم يهود بني النضير، والسبب الذي جعلهم

يجبنون عن قتال المؤمنين مواجهة من الخوف والرعب الذي وضعه الله ـ تعالى ـ في قلوبهم، لأنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله ـ تعالى ـ حيث يستخفون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم(١٤٦).

وهكذا نجد في الآيات الكريمة ما يكشف عن حقيقة اليهود الواقعة، ويقرر حالة قائمة في نفوسهم المريضة بأدران الفسق والفجور، تنشأ من حقيقتهم السابقة وهي رهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله ـ تعالى:

﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان، ولقد شهدت الاشتباكات في الأرض المقدسة اليوم بين المؤمنين واليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء، فسبحان العليم الخبير (١٤٧).

ولا ريب أن قوله ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ﴾ أن ذلك يدعو المؤمنين إلى اتحاد قلوبهم واجتماع آرائهم والحذر من الفرقة والاختلاف الذي يؤدي إلى تصدع صفوفهم، والتنبيه لاسبابه التي يغذيها اليهود بمكرهم، فإن ذلك يهون من شأن أعدائهم من الكافرين، ويزيد من هيبتهم عندهم، فلا يزالون يهابونهم أبد الدهر.

المطلب السادس

الاغترار بكثرة العدد في القتال

قد يكون العدو كثير العدد، شديد البأس والقوة، قد توفرت لديه القوة المادية بشتى أصنافها، ولكنه بسبب الخور المعنوي الذي انطوى عليه لا يمكن أن ينتصر على الجيش الذي جعل أمله في الله العزيز الغالب وإن كان قليل العَدد، والعُدة كما قرر ذلك ربنا ـ سبحانه ـ في كتابه: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[148].

وقد يعجب المسلمون بكثرتهم أمام عدوهم الأقل عدداً منهم فيؤدي بهم عجبهم إلى الهزيمة، فيحل الخوف والاضطراب إلى صفوفهم بسبب ذلك، ليعلمهم ـ سبحانه ـ أنهم لا ينتصرون بكثرة عددهم ولا عدتهم وإنما بإيمانهم وقوة عزيمتهم وحسن توكلهم على ربهم، فإذا رجعوا إلى ذلك زال الخوف والاضطراب وحلت السكينة مكانهما كما أخبرنا الله ـ جل وعلا ـ عن ذلك في سورة التوبة في قصة حنين:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[149].

هذه الآية الكريمة إشارة إلى وقعة حنين وهو وادٍ بين مكة والطائف، وقعت بعد

فتح مكة، قيل كان عدد المسلمين اثنى عشر ألفاً، وكان عدوهم: هوازن وثقيف وألفافهما [١٥٠].

والتقى الجمعان، فأعجب المسلمون بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، ووثقوا بالنصر لقوتهم، فحصلت لهم الهزيمة في أول اللقاء، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، حيث اشتد البأس عليهم، واضطربوا، ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم،ولمَّا ثبت نبي الله ﷺ مع القلة القليلة معه أنزل ـ سبحانه ـ سكينته عليه وعلى المؤمنين، فثبتتْ قلوبهم، واطمأنت نفوسهم، ورجع المسلمون مرة أخرى إلى القتال، وأيدهم الله ـ تعالى ـ بالملائكة، وهزم المشركون، واندحر أعداء الله ورسوله ﷺ [١٥١].

"إن معركة حنين التي يذكرها السياق هنا ليعرض نتائج الانشغال عن الله ـ تعالى ـ والاعتماد على قوة غير قوته لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنية. حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة. إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة. وإن الكثرة لتكون أحياناً سبباً في الهزيمة، لأن بعض الداخلين فيها، التائهين في غمارها، ممن لم يدركوا حقيقة العقيدة التي ينساقون في تيارها، تتزلزل أقدامهم وترتجف في ساعة الشدة، فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ما تخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق صلتهم بالله ـ تعالى ـ انشغالاً بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسرِّ النصر في الحياة" [١٥٢].

وهكذا فالمقصود الذي يراد بيانه في هذا المطلب أن حصول الأمن في البأس والشدة ليس مرهوناً بالركون إلى الماديات حتى لو ركنا المعنويات جانباً، فذلك هو سبب هزيمة المسلمين في بداية حنين، ولكن حصول الأمن وزوال الخوف عن القلوب مربوط حصوله بوجود العزيمة الصادقة، وصلاح القلوب، وإخلاص النية لله رب العالمين، كما حصل في المآل الذي آلت إليه المعركة. إن ذلك هو الكفيل ـ بإذن الله

تعالى ـ في ثبات القلوب وطمأنينتها وقت النزال والشدة وإن ضعفت القوة المادية ما دام المسلمون قد فعلوا ما بوسعهم لملاقة الأعداء.

المطلب السابع

عدم الثقة بنصر الله ـ تعالى ـ

هذا المطلب يمثل صفة من صفات المنافقين وهي عدم الثقة بنصر الله ـ تعالى ـ ولذا تراهم لا يقدمون على خوض القتال ضد الأعداء، ويخافون أن يتقدموا ولو قليلاً تجاه ساحة النزال مع الكافرين، وقد فضح الله ـ تعالى ـ المنافقين في هذا الأمر الخسيس الذي انطوت عليه قلوبهم المريضة ونفوسهم الجبانة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾(١٥٣).

فقولهم: (لو أطاعونا ماقتلوا) دليل على أنهم لا يؤمنون بأن الإنسان لـه أجل ينتهي إليه في أي مكان، في أتون المعركة الضارية، أو في بيته بين أهله وأولاده في نعمة وأمن، وفي صحة وعافية.

ومن ثمَّ فإنهم لا يثقون بالله ـ تعالى ـ، حيث حصروا سبب الموت في حضور المعركة فقط، ولو كان المسلمون الذين قتلوا في أحد قد تركوا ساحة القتال ورجعوا مع رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول لنجوا من القتل، وكأنهم بذلك قد اطلعوا

على علم الغيب فعلموا بالوقت الذي يموت فيه الإنسان، ألا ساء ما يحكمون!

إن هذا الكلام الذي أصدره هؤلاء المنافقون بزعامة رئيسهم ليكشف لنا عن المرض الخطير الذي أصاب قلوبهم إصابة مباشرة، وهو ظنهم أن دخول المعركة هو السبب في هلاك المرء، وهو السبب في كل ما يناله من الأذى والجراح، ومن الخوف والذعر، وهذا كله نابع من شيء استقر في نفوسهم، وترعرع في قلوبهم، وهو أن هذه المعارك ليست سبب عز ونصر للمسلمين، وإنما هي وسيلة لهلاك الإنسان وشقائه، فلا داعي لأن يزج المرء بنفسه إلى هذه المهالك.

هذه هي عقيدتهم الفاسدة التي فضحها الله ـ عز وجل ـ في هذه الآيات الكريمة، وبيّن أن المرء يموت بأجله الذين قدره الله ـ تعالى ـ له، ذلك أن "الموت يصيب المجاهد والقاعد، والشجاع والجبان، ولا يرده حرص ولا حذر، ولا يؤجله جبن ولا قعود، والواقع هو البرهان الذي لا يقبل المراء، وهذا الواقع هو الذي يجبههم به القرآن، فيرد كيدهم اللئيم، ويقر الحق في نصابه، ويثبت قلوب المسلمين، ويسكب عليها الطمأنينة والراحة واليقين"(١٥٤).

وقد قرر الله ـ عز وجل ـ ضعف يقين المنافقين بالله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب بقوله: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ ﴾(١٥٥).

فيا للسخرية! ويا للتصوير الزري! ويا للصورة المضحكة، وإن يأت الأحزاب يود هؤلاء الجبناء بسبب ما أصاب قلوبهم من الهلع والخوف لعدم يقينهم وثقتهم بالله ـ تعالى ـ يودوا (١٥٦) لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوماً من الأيام، ويتمنوا أن لو

كانوا من أعراب البادية، لا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير، ولا يعلمون ـ حتى ـ ما يجري عند أهلها. وإنما هم يجهلونه، ويسألون عنه سؤال الغريب عن الغريب! مبالغة في البعد والانفصال، والنجاة من الأهوال"(١٥٧).

المبحث الثاني

أسباب الخوف في الآخرة

المطلب الأول

الإعراض عن الحق في الدنيا

تقدم معنا في المبحث الأول نماذج متعددة، بعضها يمثل سبب الخوف الذي نورده هنا مثل موالاة الأعداء، وعدم الثقة بالله ـ تعالى ـ ، والذي يجمع هذا كله هو الإعراض عن دين الله ـ تعالى ـ.

لقد قرر الله ـ عز وجل ـ في القرآن أنَّ مَنْ أعرض عن الاستجابة للحق، وأضاع وقته في فعل المحرمات وارتكاب الموبقات أنه يكون يوم القيامة في موقف الخائفين المرعوبين من البطش الرباني الذي ينتظرهم، والذي يبدأ من حال احتضارهم، كما قال ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾(١٥٨).

ولقد ذكر الله ـ عز وجل ـ من أحوال الكافرين يوم القيامة من الندم والذل والإهانة التي تلحقهم ما يؤكد أنهم في غاية الخوف والفزع بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ

نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(١٥٩). إن ذلك يؤكد الفزع الذي انتاب قلوبهم هناك، ولذا يقولون: يا ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، فارجعنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، فإنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالاً من وحدانيتك، وأنه لا يصلح أن يعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون رب سواك، وأنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء، وتفعل ما تشاء (١٦٠).

ومثل ذلك ما ذكره ـ سبحانه ـ عن استغاثة أهل النار في النار مما يؤكد خوفهم وفزعهم لأنهم نكصوا عن عبادة ربهم في الدنيا، قال ـ سبحانه وجل شأنه ـ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(١٦١)، وقال ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾(١٦٢).

وذكر ـ سبحانه ـ في معرض حديثه عن حالة الأشقياء يوم القيامة ما يؤكد الرعب الذي تصاب به قلوبهم يوم يعطى أحدهم كتابه بشماله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾(١٦٣).

إن هذا الكافر الذي يعطى كتابه بشماله يقول وهو يواجه ما يفزعه ويخلع قلبه (يا ليتها كانت القاضية) فهو إذن يتمنى موتة لا حياة بعدها، ولم ينفعه ماله ولا جاهه الذي كان يطغى به في الدنيا، بل خلص الأمر إليه وحده فلا معين له ولا مجير، وعند ذلك يأمر ـ سبحانه ـ الزبانية أن تأخذه عنفاً إلى المحشر، فتضع الإغلال في عنقه، ثم توردهه إلى جهنم، فتغمره فيها، فلا تسل عن العذاب والإهانة التي يلقاها هناك، وعلة ذلك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ فهو كان لا يقوم بحق الله ـ تعالى ـ عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه، ويؤدي حقهم، فإن لله ـ تعالى ـ على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وهذا الكافر قد أعرض عن ذلك كله، فكان هذا جزاءه، ولا يظلم ربك أحداً (١٦٤).

الفصل الثالث

أساليب القرآن في الحديث عن الأمن

المبحث الأول

ذكر لفظ الأمن نصاً

تعددت الأساليب القرآنية في ذكر الأمن، وأحد تلك الأساليب أن تذكر لفظة الأمن بنصها، وهذه تنقسم إلى قسمين: جامد، ومشتق.

فالجامد هو المصدر، سواء جاءه نكرة نحو (أَمْنَاً) و(أَمَنَة) أو معرفاً بأل نحو (الأمن)، ويمثل لذلك بالأمثلة التالية:

* قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(١٦٥)،

وقال: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾[١٦٦]، وقــال: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾[١٦٧].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١٦٨]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾[١٦٩].

وأما المشتق فهو هنا اسم الفاعل بصيغة المفرد المذكر النكرة نحو (آمِن)، أو المؤنث نحو (آمِنَة) أو بصيغة جمع المذكر السالم المنصوب نحو (آمنين) أو المرفوع نحو (آمنون) وهذا كله بدون (أل).

وقد يأتي بأل نحو (الآمنين) والأمثلة على ذلك على النحو التالي:

قال ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[١٧٠]، وقال: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾[١٧١].

وقد يأتي هذا في صيغة الاستفهام التقريري نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾[١٧٢].

وقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾[١٧٣].

وقال ـ جل وعلا ـ ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[١٧٤]، وقال: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾[١٧٥]، وقال: ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾[١٧٦].

وقال ـ تبارك اسمه وتعالى ـ: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾[١٧٧].

المبحث الثاني
نزول السكينة

هذا نوع آخر من أساليب القرآن في الحديث عن الأمن وهو نزول السكينة على المؤمنين، والسكينة كما في القاموس هي الطمأنينة[١٧٨]، ومن المعلوم أن المرء إذا اطمأن فإنه يكون آمناً، وقد جاء ذكر السكينة معرفةً بأل وبدونها، فمن مجيئها معرفة بأل قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[١٧٩]، وقوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[١٨٠].

ومن مجيئها بدون أل قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٨١]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[١٨٢]، وقوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٨٣].

المبحث الثالث
الطمأنينة

أصلها السكينة، والطَّمْن بالفتح الساكن، كالمطمئن والجمع طُمون، واطمأن إلى كذا اطمئناناً وطمأنينة وهو مطمئِن وذاك مطمأَن [١٨٤].

ومن المعلوم أن المرء إذا اطمأن فإنه يشعر بالأمن ويذهب عنه الخوف الذي كان مسيطراً عليه.

وقد جاء لفظ الطمأنينة في القرآن اسماً، وجاء كذلك فعلاً.

فمن مجيئها اسماً قوله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[١٨٥]، وقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾[١٨٦].

ومن مجيئها فعلاً قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١٨٧]، وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾[١٨٨]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾[١٨٩].

المبحث الرابع

الربط على القلوب

أصل الربط في لغة العرب هو الشد والثبات، يقال: رجل رابط الجأش أي شديد القلب والنفس [١٩٠]، وإذا ربط الله ـ عز وجل ـ على قلب المرء، فثبته وقت الشدة والكرب كان بذلك آمناً مطمئناً، كما ذكر الله ـ عز وجل ـ ذلك في ثلاثة مواضع، هي:

١ ـ ما ذكره عن أصحاب الكهف، حيث قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١٩١].

٢ ـ ما ذكره عن أم موسى ـ عليه السلام ـ قال ـ جل شأنه ـ: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٩٢].

٣ ـ ما ذكره ـ سبحانه ـ عن المؤمنين يوم بدر لما أنزل المطر عليهم: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١ ﴾[١٩٣].

المبحث الخامس

نفي الخـــوف

إن ثمة آياتٍ كثيرةً ذكرها الله ـ عز وجلَّ ـ في كتابه بـيّن فيهـا ـ سـبحانه ـ نفـي الخوف عن عباده المؤمنين الذين آمنوا به حق الإيمان، واتبعوا شرعه، وانقـادوا لأمـره في جميع أحوالهم، ومعنى نفي الخوف عنهم حـصول الـضد وهـو الأمـن مـن الفـزع، وطمأنينة القلوب، وراحة النفوس.

* ونفي الخوف إما أن يأتي في سياق النفي مـع اسـتخدام لا النافيـة، أو يكـون ذلك عن طريق استخدام لا الناهية ثم يليها فعل الخوف، ومن المعلوم أن الله ـ تعالى ـ إذا قال لأي أحد لا تخف فمعناه الوعد الرباني لهذا المـرء بأنـه سـيكون آمنـاً، فليهـدأ وليطمئن.

ومن أمثلة القسم الأول قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[١٩٤]، وقولـــــه: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[١٩٥].

ومـن أمثلـة القـسم الثـاني قولـه ـ سـبحانه وتعـالى ـ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٩٦]، وقولــــه: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٩٧].

المبحث السادس

نفي الســـوء

ذكر الله ـ عز وجل ـ عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين استجابوا لأمره ﷺ بالخروج إلى حمراء الأسد(١٩٨) بعد الانتهاء من أحد مباشرة، والذين خوفهم من جاءهم بأن المشركين قد جمعوا لهم، فعليهم أن يخافوهم، ذكر الله ـ تعالى ـ عنهم أن ذلك لم يزدهم إلا إيماناً، حيث إنهم فوضوا أمرهم إليه وحده، وتوكلوا عليه حيث قالوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، ومعنى ذلك أنهم اطمأنوا وحصل لهم الأمان التام لقاء استجابتهم لأمر الله ـ تعالى ـ وأمر رسوله ﷺ، ودليل ذلك أن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ حيث جاء الخبر إلى المشركين، فألقي الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله ـ تعالى ـ وفضل، وذلك فضل الله ـ تعالى ـ يؤتيه من يشاء، وفي ذلك يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾(١٩٩).

وكون المسلمين مع انقلابهم (بنعمة من الله) ـ تعالى ـ (وفضل) كونهم: (لم يمسسهم سوء) يعني أنهم لم يلاقوا حرباً (٢٠٠)، وهذا يفيد أنهم كانوا في غاية الأمان والطمأنينة، لأن الله ـ تعالى ـ نفى حصول السوء لهم، والسوء هو المكروه (٢٠١)، ومما يدخل في المكروه الرعب والخوف.

ومن نفي السوء كذلك عن المؤمنين قوله ـ سبحانه ـ في بيان حال المتقين يوم

القيامـــــة: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾(٢٠٢).

قال ابن سعدي: "ولما ذكر حالة المتكبرين ذكر حالة المتقين فقال: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ أي بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله ـ تعالى ـ التي هي العدة عند كل هول وشدة (لا يمسهم السوء) أي العذاب الذي يسوؤهم، (ولا هم يحزنون) فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان..."(٢٠٣).

المبحث السابع

الدفاع عن المؤمنين في المعركة

إن من أعظم الأهوال والشدائد التي يتعرض لها المؤمنون في دنياهم أهوال القتال مع العدو، حيث تبلغ القلوب الحناجر من شدة الرعب الذي يصيب الناس أثناء الحروب.

في هذه الأثناء الحرجة تأتي سنة من أعظم سنن الله ـ تعالى ـ في عباده، وهي قدرته ـ سبحانه ـ على إنزال النصر على أوليائه المتقين مهما اجتمعت عليهم صنوف الكفر وأحزاب الشيطان، كما حصل ذلك يوم بدر وأحد، وكما حصل ذلك يوم الأحزاب، لما جاءت المؤمنين الأحزابُ من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت أبصارهم، وبلغت قلوبهم الحناجر من شدة الرعب والخوف الذي ينتاب البشر، حيث إن المؤمنين لما كانوا صادقين مخلصين في قتالهم دافع عنهم في تلك الشدة والبأس حيث

أرسل الريح التي اقتلعت منازل المشركين، وقلبت قدورهم، وأنزل جنوده الملائكة لنصر المؤمنين، فحصل لهم بذلك الأمان ونزلت عليهم الطمأنينة كما سنذكر ذلك في الفصل القادم إن شاء الله، وفي ذلك يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾(٢٠٤) .

وقال ـ سبحانه ـ عن بدر: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾(٢٠٥)، وقال ـ سبحانه ـ ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَـٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَـٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٢٠٦) .

الفصل الرابع

آمنون في القرآن

المبحث الأول

إبراهيم عليه السلام

لقد اتخذ الله ـ تعالى ـ نبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ خليلاً، والخلة أعلى درجات المحبة، حيث كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إماماً يقتدي به النبيون مِنْ بعده، ومن الصفات العظيمة التي يقتدى به فيها صبره على البلاء، وتوكله على ربه ـ تعالى ـ كما حصل ذلك يوم أنكر على قومه عبادة الأصنام، فلما لم يرتدعوا ولم يتوبوا قام بتكسيرها، وأثبت لهم عملياً أنها لا تملك الدفاع عن نفسها فضلاً عن جلب الخير لغيرها، ولما لم يجدوا دليلاً ولا حجة يقاومون إبراهيم به استخدموا حيلة الضعفاء في مواجهة الدليل بالدليل حيث لا دليل، وهو منطق القوة، وذلك لما جمعوا الحطب وأوقدوا ناراً عظيمة، ورموه فيها، وقد كان خوف الإنسان في مثل هذه الحال أمراً طبيعياً، ولكنه لما كان ثابت الجنان، متوكلاً على ربه حق توكله أمّنه رب العالمين من فوق سبع سموات، وذلك عندما جعل النار عليه برداً وسلاماً، فكان ـ عليه السلام ـ آمناً مرتين، لما فوض أمره إلى الله ـ تعالى ـ وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل [٢٠٧]، وذلك لما ألقي في النار، والثانية يوم قال الله ـ جل وعلا ـ للنار: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢٠٨]، وقد بين ذلك ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٢٠٩].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل إنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم..، وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحوطوا حولها ثم أضرموا فيه النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه والقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوه فيها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وخرج منها سالماً بعدما مكث فيها أياماً.. واجتمع على محبته جميع أهل الأديان"[٢١٠].

وفي سورة الذاريات ذكر الله ـ تعالى ـ قصة إبراهيم مع الملائكة لما دخلوا عليه وهو لا يعرفهم، فقام تجاههم بواجب الضيافة وجعل ماله لهؤلاء الضيفان، حيث قدم لهم الطعام، فلما لم يمدوا أيديهم خاف إبراهيم ﷺ؛ ذلك لأن العرب كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدث نفسه بشر، فلما خاف قالت الملائكة: لا تخف، وكن آمناً، فإنا ملائكة ربك أرسلنا الله ـ تعالى ـ إلى قوم لوط الذين فعلوا الأمر العظيم الذي يستحقون بسببه العذاب الأليم [٢١١]، ومما زاد في طمأنينة ونزول السكينة عليه تبشيرهم له بغلام عليم، يقول ـ سبحانه وتعالى شأنه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢١٢] .

المبحث الثاني

محمـــــد ﷺ

تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظ نبيه ﷺ من كـل سـوء يريـده بـه أعـداؤه مـن اليهـود والمشركين، ويمكن بيان الشواهد القرآنية الدالة على تأمينه ﷺ وجعله مطمئنـاً في كـل وقت رغم المؤامرات التي كان يتعرض لها، وذلك فيما يأتي:

١ ـ ما ذكره ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[٢١٣]، وقوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾[٢١٤]، وهذا: "حماية وعصمة من الله ـ تعـالى ـ لرسـوله ﷺ مـن الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف مـن المخلوقين، فإن نواصيهم بيد الله ـ تعالى ـ وقد تكفل بعصمتك، فأنـت عليـك الـبلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتبـاع أهـوائهم فـإن الله ـ تعالى ـ لا يهديهم ولا يوفقهم للخير بسبب كفرهم"[٢١٥].

٢ ـ ما ذكره ـ سبحانه ـ مـن إنزالـه سـكينة علـى رسولــه ﷺ، والـسكينة هـي الأمان والطمأنينة كما تقدم في الأساليب، وإذا أنزل الله ـ تعالى ـ سكينته على رسولـه ﷺ فإن ذلك يعني تنبيهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أنه سيكون آمناً مطمئناً، فليمض في دعوته وجهاده، ولا يخف في الله ـ تعالى ـ لومة لائم.

ومن المواضع التي ذكر فيها إنزاله ـ سبحانه ـ السكينة على رسوله ﷺ :

أ ـ يوم خروجه ز مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من مكة إلى غار ثور، وذلك لما خاف أبو بكر من طلب المشركين لهما أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك فقال لـه رسول الله ﷺ : (لا تحزن إن الله معنا) والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا، وأنزل الله ـ تعالى ـ بذلك على رسولـه ﷺ الثبات والطمأنينة والسكينة المثبتة للفؤاد، وأنه ـ سبحانه ـ ناصره ومؤيده وكافية شر عدوه [٢١٦]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢١٧].

ب ـ يوم حنين، لما انهزم الناس من عند رسول الله ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام ثابت في مكانه، يقاتل وينافح في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه، مع أنه كان على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لفر ولا لكر، وهذا كله من تثبيت الله ـ تعالى ـ لـه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإنزاله السكينة والطمأنينة على قلبه [٢١٨]، وفي ذلك يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ

ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢١٩].

ج ـ يوم صلح الحديبية سنة ست من الهجرة، وذلك يوم أنف المشركون من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وأنفوا من دخولـه ﷺ والمؤمنين إليهم في تلك السنة ولكن في التي بعدها؛ لئلا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين لقريش، ووافقهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على ذلك، حيث كان ـ يعلم ﷺ أن الله ـ تعالى ـ ناصره ومؤيده، وقد كانت هذه الأمور التي اشترطها المشركون من أمور الجاهلية لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي، وأنزل ـ عز وجل ـ سكينة على رسوله وعلى المؤمنين معه، وهذا يفيد ما مَنّ به ـ تعالى ـ من حصول الطمأنينة والوقار لـه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رغم الشروط التي فرضها المشركون للصلح، حيث لم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله ـ تعالى ـ، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمات الله ـ تعالى ـ ولو كانت ما كانت، ولم يبالوا بقـــول القائلين ولا لـــوم اللائمـــين [٢٢٠]، وفي ذلك يقـــول ـ سبحانه ـ ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٢٢١].

المبحث الثالث

لوط ـ عليه السلام ـ

أرسل الله ـ تعالى ـ نبيه لوطاً ـ عليه السلام ـ إلى قومه ناصحاً ومذكراً، وكانوا مع شركهم قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور وتقطيع السبيل، وفشوّ المنكرات في مجالسهم، فلما رأى لوط هذا الفجور وتلك المنكرات توجه إليهم بأن يتوبوا إلى

ربهم، فيوحدوه، ويتركوا إتيان الفواحش، وهو كفيل بأن ييسر لهم ما أباحه الله ـ تعالى ـ من النكاح، ولكنهم طغوا وبغوا وأصروا على فسادهم وفجورهم، وجاءته الملائكة فلم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء السبيل الضيوف، فخاف عليهم من قومهم فطمأنوه ـ وهو الشاهد هنا ـ وقالوا لـه: (لا تخف ولا تحزن) وأخبروه أنهم رسل الله وأن الله ـ تعالى ـ سوف ينجيه وأهله إلا امرأته لأنها كانت خائنة؛ على غير دينه (٢٢٢)، وأمروه بأن يسري بأهله ليلاً فلما أصبحوا قلب الله ـ تعالى ـ عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، وأما لوط والمؤمنون معه فكانوا آمنين مطمئنين، حيث، أدى ما عليه ونصح، فحفظه الله ـ تعالى ـ ونجّاه، وجعل العاقبة السوأى على الكافرين المعاندين، والفجار المفسدين (٢٢٣)، وفي ذلك يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٢٢٤) .

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ

هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾[٢٢٥] .

المبحث الرابع

موسى ـ عليه السلام ـ

واجه نبي الله موسى ﷺ أثناء دعوته مجموعة من الفتن والابتلاءات، وفي ظل تلك الفتن كان يستمد العون والتسديد من ربه ـ تعالى ـ وكان الله ـ تعالى ـ معه يؤيده وينصره، ويؤمنه من كل ما يخافه ويخشاه، وقد تمثل ذلك في عدة أمور:

١ ـ تأمينه لما خاف من تحول عصاه إلى حية تسعى، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[٢٢٦]، وقال: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢٢٧].

قال أبو السعود: "قوله: (ولى مدبراً ولم يعقب) أي لم يرجع على عقبه، من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر، وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى: (يا موسى لا تخف) أي من غيري ثقة بي، أو مطلقاً لقوله ـ تعالى ـ: {إني لا يخاف لدي المرسلون} فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الأوقات، بل حين يوحى إليهم كوقت الخطاب فإنهم حينئذٍ مستغرقون في مطالعة أوامر الله ـ عز وجل ـ لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً، وأما في سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه ـ سبحانه ـ..."(٢٢٨).

٢ ـ تأمينه عند ملاقاة فرعون، وإشعاره بأنه لن يخذل أبداً، فليسكن وليطمئن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(٢٢٩).

قال ابن كثير: "أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى عليّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي"(٢٣٠).

٣ ـ تأمينه عند لقائه مع سحرة فرعون لما ألقوا حبالهم وعصيهم، فإذا هو يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢٣١).

كان قول السحرة: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ دعوة الميدان إلى النزال، ويبدو فيها التماسك وإظهار النصفة والتحدي.

وهنا قبل منهم موسى التحدي، وترك لهم فرصة البدء، واستبقى لنفسه الكلمة الأخيرة، ولكن ماذا؟ إنه لسحر عظيم فيما يبدو، وحركة مفاجئة ماجت بها الساحة حتى إن موسى قد أوجس في نفسه خوفاً كما هو مقتضى الطبيعة البشرية وإلا فهو جازم بوعد الله ـ تعالى ـ ونصره، ولقد قال له ـ سبحانه ـ: (لا تخف إنك أنت الأعلى) وهذا تثبيت لموسى وتطمين بأنه سيعلو عليهم ويقهرهم، وأنهم سيذلون له ويخضعون.

وفي ذلك إشارة إلى سبب كونه من الآمنين وهو أنه الأعلى، معه الحق ومعهم الباطل، معه العقيدة ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة، وهو ـ عليه السلام ـ متصل بالقوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقاً بشرياً فانياً مهما يكن طاغية جباراً [٢٣٢].

٤ ـ تأمينه من قِبَلِ شعيب ـ عليه السلام ـ بعد قتله للقطبي خطأً، وذلك لما خرج إلى مدين خائفاً، وحصلت له قصته مع ابنتي شعيب لما سقى لهما، حيث طلبه شعيب، فجاءه وقص عليه الخبر فقال له شعيب: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢٣٣].

يقول: "طب نفساً وقرّ عيناً فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا"[٢٣٤]، وذلك "أن فرعون لم يكن له سلطان على أهل مدين"[٢٣٥].

ولا شك أن ما حصل له من الأمان والطمأنينة بعد ذلك الخوف هو من فضل الله ـ تعالى ـ عليه، ورأفته به، ورحمته له.

المبحث الخامس

أم موسى ـ عليه السلام ـ

إن ما حدث لأم موسى ـ عليه السلام ـ والتي يقال إن اسمها يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب [٢٣٦]، من الثبات والطمأنينة بحيث إنها ألقت بابنها وفلذة كبدها في البحر هذا كله من رحمة الله ـ تعالى ـ بها، فإنها من النساء الصالحات اللاتي أيقن بوعد الله ـ تعالى ـ وحفظه لأوليائه وأصفيائه.

قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[٢٣٧].

وقوله: (وأوحينا إلى أم موسى) يراد به وحي الإلهام لا وحي النبوة؛ إذ ليس في النساء نبيات، أي قذفنا في قلبها أن تفعل ذلك، وبشرناها بأن موسى سيرجع إليها وسوف يكون من رسل الله ـ تعالى ـ[٢٣٨].

ومما يدل على تأمينها من الله ـ تعالى ـ قوله ـ سبحانه ـ لها: (ولا تخافي ولا تحزني) أي لا تخافي على ولدك من بطش فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه [٢٣٩].

ولقد تحقق ما وعدها الله ـ تعالى ـ به، فرده إليها بعد أن التقطه آل فرعون: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[٢٤٠].

فقوله: (فرددناه إلى أمه) أي كما وعدناها بذلك من قبل.

(كي تقر عينها ولا تحزن) بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به،وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك (ولتعلم أن وعد الله حق) فأريناها بعض ما وعدنا به عياناً، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله ـ تعالى ـ في حفظه ورسالته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فإذا رأوا السبب متشوشاً شوش ذلك إيمانهم لعدم علمهم الكامل أن الله ـ تعالى ـ يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، لقد استمر موسى ـ عليه السلام ـ عند آل فرعون يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يُستنكر ملازمته إياها وحنوها عليه[(٢٤١)].

المبحث السادس

أصحـــاب الكهـــف

إن الفتية أصحاب الكهف نموذج فريد من النماذج التي تربت على الثبات على الحق والعدل والتوحيد لله رب العالمين وإن كان قومهم وعشيرتهم يخالفونهم تمام المخالفة: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ ﴾[(٢٤٢)].

لقد كان من تأمين الله ـ تعالى ـ لهم وتثبيته إياهم على الحق أنه ـ سبحانه ـ صبرهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد

والسعادة والنعمة فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف ـ كما أشار إلى ذلك ابن كثير ـ أنهم كانوا من أبناء ملوك وسادتهم وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها،وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: وقيانوس، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، فعرفوا أن ما يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله ـ تعالى ـ الذي خلق السموات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية، فكان أول من جلس منهم أحدهم، جلس تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس إليهما عنده، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان، وجعل كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم، ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء، فليظهر كل واحد منكم بأمره، واتفقوا كلهم على القول بتوحيد الله تعالى والإنكار على قومهم المشركين، واتخذوا مكاناً يعبدون الله تعالى فيه، فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله ـ عز وجل ـ فأبى، ثم تهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم، وكان من لطف الله ـ تعالى ـ بهم وتأمينه وتثبيته لهم أن ألهمهم الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة [(٢٤٣)]، حيث لجؤوا إلى كهف، حفظهم الله ـ تعالى ـ فيه من الشمس، فكانت إذا طلعت تميل عنه يميناً وعند غروبها تميل عنه شمالاً، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، وهم في فجوة من الكهف، في مكان

متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصاً مع طول المكث ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾، وذلك من آيات الله ـ تعالى ـ الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم، وهدايتهم حتى في هذه الأمور.

وكان من عجيب أمرهم أن الناظر إليهم يحسبهم أيقاظاً وهم نيام، قيل لأن أعينهم منفتحة لئلا تفسد، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظاً وهم رقود، ومن حفظه ـ سبحانه ـ لأبدانهم أن قلّبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً، بقدر لا تفسد الأرض أبدانهم، والله ـ تعالى ـ قادر على حفظهم من الأرض من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها. ولقد كان الكلب الذي معهم قد أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطاً ذراعيه بالوصيد وهو الباب أو فناؤه.

وكما حماهم ـ سبحانه ـ من الأرض فقد حماهم كذلك من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد لأمتلأ قلبه رعباً، وولى منهم فراراً، وهو الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جداً؛ بدليل أنهم أرسلوا أحدهم يشتري لهم طعاماً من المدينة، وبقوا في انتظاره فدل ذلك على شدة قربهم منها (٢٤٤) فسبحانه القوي العزيز، الذي حفظهم وأمنهم وأنزل السكينة عليهم:

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٢٤٥) .

المبحث السابع

الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ

إن ممن ذكرهم الله ـ تعالى ـ في القرآن وبيّن نزول السكينة والطمأنينة عليهم لالتزامهم بشرع الله ـ تعالى ـ هم أصحاب محمد ﷺ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فاستحقوا أن يضرب بهم المثل في الصدق والوفاء، وفي الإخلاص والاستقامة، وفي إتيان كل خير يستطيعونه، واجتناب كل شر وفتنة.

ولقد ذكر سبحانه تأمينهم وبيّن أنهم مطمئنون في عدة مواضع من كتابه هي:

١ ـ قولـــه ـ سبحانه ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾(٢٤٦).

إن مما يدخل هنا في المؤمنين دخولاً أولياً هم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقد تأثرت نفوسهم من حدوث تلك الشروط التي سبق ذكرها في شأن صلح الحديبية كترك لفظي الرحمن الرحيم، وعدم عمرتهم في تلك السنة وأن من جاء مسلماً يرد إلى المشركين، هذه الشروط أثرت في نفوس الصحابة، لكنهم لما كانوا مؤمنين صادقين ثبتهم الله ـ تعالى ـ، فأنزل السكينة عليهم، فاطمأنت قلوبهم، وثبتت نفوسهم عند نزول تلك الأمور المقلقة التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم،وهذا

من نعمة الله ـ تعالى ـ عليهم في تلك الحال؛ حيث تلقت نفوسهم تلك المشقات بقلوب ثابتة ونفوس مطمئنة [٢٤٧].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٢٤٨].

وهذا نحو مما ذكر في الموضع الأول، إلا أنه خاص والأول عام، فإن هذه الآية الكريمة إشارة إلى ما سيحصل للكافرين من العذاب الأليم بسبب ما كان في قلوبهم من حمية الجاهلية، فإن كل ما اشترطوه من تلك الشروط في صلح الحديبية إنما هي من أخلاق أهل الكفر والفسوق، ولكن الله ـ عز وجل ـ ثبت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فأنزل الصبر والطمأنينة والوقار عليهم، وحيث التزموا بتلك الشروط ولم يلتفتوا إلى لوم اللائمين واستهزاء المستهزئين [٢٤٩] .

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ عن الصحابة أهل بيعة الرضوان: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[٢٥٠].

وهذه الآية أيضاً بيان بما مَنّ الله ـ تعالى ـ به على الصحابة أهل بيعة الرضوان من نزول الطمأنينة والسكينة على قلوبهم بسبب صدقهم مع الله ـ تعالى ـ وذلك لما بايعوا رسول الله ﷺ وكان عددهم ألفاً وأربعمائة على قتال المشركين، وألاّ يفروا حتى يموتوا، وكان نزول السكينة عليهم شكراً لهم على ما في قلوبهم من الجزع على

تلك الشروط، وزيادة على ذلك فقد أثابهم فتحاً قريباً، وكان ذلك يوم فتح خيبر، وفتح مكة، وفتح سائر البلاد والأقاليم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة (٢٥١).

ومما يدل على حصول ما وعدهم به ـ سبحانه ـ من الفتح قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾(٢٥٢).

وهكذا تحققت رؤيا رسوله ﷺ من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وكان ذلك في العام المقبل، فدخل المسلمون مكة وهم آمنون مطمئنون، يؤدون مناسك عمرتهم على أحسن حال، وزال بذلك ما كان في نفوسهم من الألم والحزن بسبب الرضى بما شرطه المشركون (٢٥٣)، وذلك كله من آثار الالتزام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، ويا ليت المسلمين اليوم يعون هذا الدرس العظيم الذي فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم لو هذبوا نفوسهم على ضوئه، واتخذوا من سيرة أولئك الرجال الأفذاذ مثلاً أعلى يحتذونه ويسيرون على منهجه.

الخاتمـــة

يمكن بيان أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث على النحو التالي:

١. إن موضوع الأمن من أهم المهمات التي ينبغي على المرء السعي لتحصيل الأسباب الجالبة له بكل ما يملك من قوة وطاقة.

٢. يكمن السبب الرئيس لإيجاد الأمن في الدنيا والآخرة في فعل الأوامر الربانية، واجتناب النواهي الشرعية.

٣. يكمن السبب الرئيس لانعدام الأمن، وحصول الخوف والاضطراب في الدنيا والآخرة في ارتكاب المخالفات الشرعية التي حذرنا الله ـ تعالى ـ منها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ .

٤. إن الحديث عن الأمن في القرآن ليس محصوراً في هذه الكلمة فقط (الأمن) ولكن جاء بأساليب متنوعة كالتعبير بالسكينة، والطمأنينة، والربط على القلوب، ونفي الخوف وغير ذلك.

٥. ضرب الله ـ تعالى ـ في القرآن نماذج رائعة لمن حصل لهم الأمن بسبب استقامتهم على الحق وصبرهم عليه، وذلك من أجل الاقتداء بهم والسير على منهجهم، مثل خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ومحمد ﷺ وموسى ـ عليه السلام ـ وأم موسى، وأصحاب الكهف وغيرهم.

الهوامش والتعليقات

(١) الأنعام (٨٢).

(٢) انظر كتاب التفسير من صحيح البخاري (٤/ ١٩٩٤) ط. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، و"جامع البيان" للطبري (٧/ ٢٥٤)، و"معالم التنزيل" للبغوي "(٢/ ١١٢) و"تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٥٣) و"مجموع الفتاوى" (١٧/ ٣٩٥).

(٣) الكهف (١٣ـ ١٤).

(٤) الكهف (١٥).

(٥) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٧٥)، وانظر: "التبيان في أقسام القرآن"، لابن القيم (١/ ١١٦)، و"جامع البيان" (١٥/ ٢٠٧)، و"أنوار التنزيل" (٣/ ٤٨٢).

(٦) سورة النور (٥٥).

(٧) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للسيوطي (٥/ ١٠٠) ط. دار الكتب العلمية، وانظر "جامع البيان" (١٨/ ١٥٨)، و"تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣٠١) و"زاد المسير" (٦/ ٥٧)، و"مناهل العرفان" (١/ ٤٢)، و"روح المعاني" (١٨/ ٢٠٧).

(٨) الفتح (٤)، وانظر: "جامع البيان" (٢٦/ ٧١)، و"معالم التنزيل" للبغوي (٤/ ١٨٩)، و"تفسير القرآن العظيم" (٤/ ١٨٥).

(٩) الرعد (٢٨).

(١٠) "جامع البيان" (١٣/ ١٤٥).

(١١) "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٥١٣)، وانظر: "الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٣١٥)، و"الإتقان في علوم القرآن" (٢/ ٧٨).

(١٢) الزمر (٢٣).

(١٣) "الدرس المنشور" (٥/ ٦١٠) ط. درا الكتب العلمية.

(١٤) "الإتقان في علوم القرآن" (٢/ ٧٨)، وانظر "جامع البيان" (٢٣/ ١٩)، و"أنوار التنزيل" (٥/ ٦٥)، و"إرشاد العقل السليم" (٥/ ٢٠)، و"مجموع الفتاوى" (١٧/ ١١، ٤٠).

(١٥) البقرة (١٢٦).

(١٦) إبراهيم (٣٥).

(١٧) البقرة (١٢٥).

(١٨) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" ص٦٥.

(١٩) "الدر المنثور" (١/ ٢٢٢)، وانظر "أحكام القرآن" للجصاص (١/ ٨٩)، و"الجامع لأحكام القرآن" (٢/ ١١٠).

(٢٠) المرجع السابق (١/ ٢٣٠).

(٢١) آل عمران (٩٧).

(٢٢) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (٤/ ١٤١)، وحديث قتل ابن خطل رواه البخاري (٢/ ٦٥٥)، ومسلم (٢/ ٩٨٩).

(٢٣) القصص (٥٧).

(٢٤) القصص (٥٧).

(٢٥) العنكبوت (٦٧).

(٢٦) "جامع البيان" (٢٠/ ٩٣).

(٢٧) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣٩٦)، وانظر "أحكام القرآن" للشافعي (١/ ١٢٠) و"أنوار التنزيل" للبيضاوي (٤/ ٢٩٨)، و"زاد المسير" (٦/ ٢٣١) و"الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٣٠٠).

(٢٨) "الدر المنثور" للسيوطي (٥/ ٢٥٥).

(٢٩) طه (٤٢ـ ٤٦).

(٣٠) "تيسير الكريم الرحمن" ص٥٠٦.

(٣١) القصص (٣١).

(٣٢) "تيسير الكريم الرحمن" ص ٦١٥.

(٣٣) المائدة (٦٧).

(٣٤) "جامع البيان" (٦/ ٣٠٧).

(٣٥) الأنفال (٣٠).

(٣٦) انظر: "الدر المنثور في التفسير بالماثور" للسيوطي (٤/ ٨٩)، وذكره د/ مهدي رزق الله في كتابه "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية" ص٦٤٨، وعامر هو ابن الطفيل بن مالك العامري، أحد شعراء العرب وسادتهم في الجاهلية، ناصب النبي ز العداوة فهلك، انظر الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٢).

(٣٧) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير من سننه (٥/ ٢٥١)، وقال: هذا حديث غريب، وحسّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٦).

(٣٨) الروم (٢١).

(٣٩) "تفسير التحرير والتنوير" للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (٢١/ ٧٠، ٧١) ط. الدار التونسية للنشر.

(٤٠) المرجع السابق.

(٤١) الشعراء (١٦٦).

(٤٢) "الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ١٧).

(٤٣) أخرجه مسلم في كتاب النكاح من صحيحه (٢/ ١٠٦٠).

(٤٤) أخرجه مسلم في كتاب النكاح من صحيحه (٢/ ١٠٦٠).

(٤٥) "في ظلال القرآن" (/ ٢٧٦٣)، وانظر "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٤٣٠)، و"روح المعاني" (٢١/ ٣٠) و"فتح القدير" (٤/ ٢١٩).

(٤٦) النساء (٢٧).

(٤٧) البقرة (٢٥٠).

(٤٨) التوبة (١٠٣).

(٤٩) "جامع البيان" (١١/ ١٦)، وانظر "القاموس المحيط" ص١٦٨١، مادة (الصلا).

(٥٠) "معالم التنزيل" (٢/ ٣٢٤).

(٥١) "روح المعاني" (١١/ ٢٥).

(٥٢) "أحكام القرآن" للشافعي (١/ ١٠٤).

(٥٣) "أحكام القرآن" (٤/ ٣٦٦).

(٥٤) "تفسير التحرير والتنوير" (١١/ ٢٣).

(٥٥) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، (كتاب الإيمان (١/ ١٩٩) برقم (٢٢٠).

(٥٦) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦). والطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٦٢) وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١/ ١٢٩): "إن رجال الطبراني رجال الصحيح".

(٥٧) التوبة (١٠٣).

(٥٨) غافر (٦٠).

(٥٩) الأنفال (٦٠).

(٦٠) "تفسير التحرير والتنوير" (١٠/ ٥٦).

(٦١) "تيسير الكريم الرحمن" ص٣٢٥.

(٦٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير من سننه، (١/ ٢٧٠)، وانظر: "صحيح سنن الترمذي" للألباني (٣/ ٥٣).

(٦٣) "جامع البيان" (١٠/ ٣٢).

(٦٤) "في ظلال القرآن" (٣/ ١٥٤٣) مع تصرف يسير.

(٦٥) المرجع السابق.

(٦٦) انظر "القاموس المحيط" ص١١٨ مادة (رهب).

(٦٧) "تفسير التحرير والتنوير" (١٠/ ٥٧).

(٦٨) "في ظلال القرآن" (٣/ ١٥٤٥).

(٦٩) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠٤).

(٧٠) آل عمران (١٥٤).

(٧١) الأنفال (١١).

(٧٢) هو زيد بن سهل الأنصاري الخزرجي، من فضلاء الصحابة، أنفق أحب ماله إليه، وشهد المشاهد، مات سنة خمسين، انظر الإصابة (١/ ٥٦٧).

(٧٣) أخرجه ابن جرير (٤/ ١٤٠) وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور (٢/ ٣٥٣) والترمذي في كتاب التفسير (١/ ٢٢٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٧٤) "تفسير التحرير والتنوير" (٤/ ١٣٣).

(٧٥) "تفسير القرآن العظيم" (١/ ٤١٩)، وانظر "معالم التنزيل" (١/ ٣٦٣)، و"أنوار التنزيل" (٢/ ١٠٤)، و"مجموع الفتاوى"(١٢/ ٢٥٠).

(٧٦) الأنفال (١١).

(٧٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٠).

(٧٨) رواه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٠).

(٧٩) "في ظلال القرآن" (٣/ ١٤٨٤)، وانظر "جامع البيان" (٩/ ١٩٣)، و"معالم التنزيل" (٢/ ٢٣٤)، و"روح المعاني" (٩/ ١٧٥).

(٨٠) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٢٥٠).

(٨١) التوبة (٣٢ـ ٣٣).

(٨٢) النور (٥٥).

(٨٣) "تيسير الكريم الرحمن" ص: ٥٧٣.

(٨٤) الأحزاب (٢٢).

(٨٥) البقرة (٢١٤).

(٨٦) "جامع البيان" (٢١/ ١٤٤).

(٨٧) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٤٧٦).

(٨٨) أي المائج، انظر "القاموس المحيط" ص١٤٢ مادة (عبب).

(٨٩) الأحزاب (٢٢).

(٩٠) "فتح القدير" (٤/ ٢٧١).

(٩١) يس (٩).

(٩٢) الأنبياء (٦٩).

(٩٣) الصافات (١٠٢ـ ١٠٧).

(٩٤) الأنعام (٤٨).

(٩٥) "جامع البيان" (٧/ ١٩٨)، وانظر "الجامع لأحكام القرآن" (٦/ ٤٢٩)، و"أنوار التنزيل" (٢/ ٤١٠)، و"مدارك التنزيل" للنسفي (١/ ٣٢٣).

(٩٦) الحاقة (١٩ـ ٢٤).

(٩٧) "تيسير الكريم الرحمن" ص٨٨٣.

(٩٨) النمل (٨٩).

(٩٩) "جامع البيان" (٢٠/ ٢٢)، وانظر "معالم التنزيل" (٣/ ٤٣٢)، و"تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣٧٩)، و"الجامع لأحكام القرآن" (١٣/ ٢٤٥).

(١٠٠) البقرة (٣٨).

(١٠١) "جامع البيان" (١/ ٢٤٨).

(١٠٢) الحجر (٤٦).

(١٠٣) سبأ (٣٧).

(١٠٤) الدخان (٥١ـ ٥٥).

(١٠٥) البقرة (٢٦٢).

(١٠٦) انظر "تيسير الكريم الرحمن" ص١١٣.

(١٠٧) حسان بن أبي سنان التنوخي، ولاّه السفاح على الأنبار، ورأى أنس بن مالك وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ومات سنة ثمانين ومائة، انظر: "الأعلام" (٢/ ١٧٦).

(١٠٨) "زاد المسير" (١/ ٢٦٢) ط. دار الكتب العلمية.

(١٠٩) أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة برقم (٦٦٠)، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١).

(١١٠) الإنسان (١٠ـ ١٢).

(١١١) الأنبياء (١٠٣).

(١١٢) "في ظلال القرآن" (٦/ ٣٧٨٢)، وانظر "تيسير الكريم الرحمن" ص٩٠١.

(١١٣) آل عمران (١٥١).

(١١٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٨٥).

(١١٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، برقم (٥٢٣).

(١١٦) "تيسير الكريم الرحمن" ص١٥١ــ ١٥٢، وانظر "جامع البيان" (١/ ٤٩٣)، و"أحكام القرآن" للجصاص (٢/ ٣٢٦)، و"تفسير القرآن العظيم" (١/ ٤١٢)، و"مجموع الفتاوى" (١٤/ ٢٠٥).

(١١٧) الأنفال (١٢).

(١١٨) "جامع البيان" (٩/ ١٩٨)، وانظر "إرشاد العقل السليم" (٢/ ٩٨)، و"روح المعاني" (٩/ ١٧٧).

(١١٩) الحشر (٢ـ ٣).

(١٢٠) البقرة (١٥٤ـ ١٥٧).

(١٢١) "إرشاد العقل السليم" (١/ ١٨٠).

(١٢٢) "روح المعاني" (٧/ ٢١).

(١٢٣) النحل (١١٢).

(١٢٤) "تفسير التحرير والتنوير" (٢/ ٥٥، ٥٦).

(١٢٥) انظر "جامع البيان" (٢/ ٤١)، و"تفسير القرآن العظيم" (١/ ١٩٨)، و"أنوار التنزيل" (١/ ٤٣٠).

(١٢٦) النحل (١١٢ـ ١١٣).

(١٢٧) إبراهيم (٢٨ـ ٢٩).

(١٢٨) "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٥٩٠)، وانظر منه كذلك (١/ ١٩٨)، و(٣/ ٥٣٤)، و"روح المعاني" (١٧/ ٣٨).

(١٢٩) "إرشاد العقل السليم" (٥/ ١٤٥)، وانظر كذلك "معالم التنزيل" (٣/ ٨٨).

(١٣٠) النحل (١١٣).

(١٣١) "جامع البيان" (١٤/ ١٨٧).

(١٣٢) الكهف (٤٩).

(١٣٣) فاطر (٤٣).

(١٣٤) قريظة وغطفان قبيلتان من اليهود، والمراد بقريش كفار مكة.

(١٣٥) حبان بن العرقة بكسر الراء أحد فرسان المشركين من قريش يوم الأحزاب.

(١٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي (٧/ ٤١١)، برقم (٤١٢٢).

(١٣٧) الأحزاب (٢٥، ٢٦).

(١٣٨) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٤١١٩)، وانظر "زاد المسير" (٦/ ٣٦٩)، و"الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ١٦١)، و"مدارك التنزيل" (٣/ ٣٠٣).

(١٣٩) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠).

(١٤٠) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠).

(١٤١) "أحكام القرآن" (٥/ ٢٢٥).

(١٤٢) الأحزاب (٢٦).

(١٤٣) "فتح الباري" (٧/ ٣٣٠)، وانظر "تاريخ الأمم والملوك" للطبري (٢/ ٤٤٦)، و"الطبقات الكبرى" (٢/ ٧١)، و"عون المعبود شرح سنن أبي داود) (٨/ ١٦٧).

(١٤٤) "القاموس المحيط" ص ١٥٣٠ مادة جَبُن.

(١٤٥) الحشر (١٣ـ ١٤).

(١٤٦) "جامع البيان" (٢٨/ ٤٧)، وانظر "أنوار التنزيل" (٥/ ٣٢١)، و"الجامع لأحكام القرآن" (١٨/ ٣٥)، و"تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٣٤١)، و"مجموع الفتاوى) (١٢/ ٣٥٨)، و(١٤/ ٢٠٥)، و(١٥/ ٥٠).

(١٤٧) "في ظلال القرآن" (٦/ ٣٥٢٩).

(١٤٨) الأنفال (٦٥).

(١٤٩) التوبة (٢٥ـ ٢٦).

(١٥٠) انظر: "معجم ما استعجم" للبكري (١/ ٤٧١).

(١٥١) "تفسير التحرير والتنوير" (١٠/ ١٥٥، ١٥٦) بتصرف، وانظر "جامع البيان" (١٠/ ٩٩)، و"أحكام القرآن" للجصاص (٤/ ٢٢٧)، و"معالم التنزيل" (٢/ ٢٨٠، ٢٨١)، و"تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢١٩)، و(٢/ ٢٩٦)، و"روح المعاني" (١٠/ ٧٣).

(١٥٢) "في ظلال القرآن" (٣/ ١٦١٨).

(١٥٣) آل عمران (١٦٦ـ ١٦٨).

(١٥٤) "في ظلال القرآن" (١/ ٥١٠)، وانظر "جامع البيان" (٤/ ١٧٠)، و"معالم التنزيل" (٢/ ٣٦٩)، و"إرشاد العقل السليم" (٢/ ١١١)، و"مجموع الفتاوى" (١٤/ ٢٥٢).

(١٥٥) الأحزاب (٢٠).

(١٥٦) يودوا: بدل من جواب الشرط في وإن يأت الأحزاب يود هؤلاء الجبناء ومثله ما عطف عليه وهو (ويتمنوا) وكلاهما مجزومان بحذف النون لأنهما من الأفعال الخمسة.

(١٥٧) "في ظلال القرآن" (٥/ ٢٨٤١) بتصرف، وانظر "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٤٧٥)، و"معالم التنزيل" (٣/ ٥١٨)، و"روح المعاني" (٢١/ ٩٧). و"تفسير التحرير والتنوير" (٢١/ ٣٠١، ٣٠٢).

(١٥٨) الأنعام (٩٣).

(١٥٩) السجدة (١٢).

(١٦٠) "جامع البيان" (٢١/ ٩٨)، وانظر: "زاد المسير" (٦/ ٣٣٥)، و"الجامع لأحكام القرآن" (١٤/ ٩٦).

(١٦١) فاطر (٣٧).

(١٦٢) الزخرف، (٧٧ـ ٧٨).

(١٦٣) الحاقة (٢٥ـ ٣٧).

(١٦٤) انظر "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٤١٧)، و"جامع البيان" (٢٩/ ٦٢)، و"معالم التنزيل" (٤/ ٣٨٩)، و"إرشاد العقل السليم" (٩/ ٢٥).

(١٦٥) البقرة (١٢٥).

(١٦٦) آل عمران (١٥٤).

(١٦٧) الأنفال (١١).

(١٦٨) الأنعام (٨١).

(١٦٩) الأنعام (٨٢).

(١٧٠) البقرة (١٢٦).

(١٧١) آل عمران (٩٧).

(١٧٢) فصلت (٤٠).

(١٧٣) النحل (١١٢).

(١٧٤) الحجر (٤٦).

(١٧٥) النمل (٨٩).

(١٧٦) سبأ (٣٧).

(١٧٧) القصص (٣١).

(١٧٨) القاموس المحيط ص١٥٥٦، مادة سكن.

(١٧٩) الفتح (٤).

(١٨٠) الفتح (١٨).

(١٨١) التوبة (٢٦).

(١٨٢) التوبة (٤٠).

(١٨٣) الفتح (٢٦).

(١٨٤) القاموس المحيط ص١٥٦٥، و"معجم مقاييس اللغة" ص٤٢٢. مادة (طمن).

(١٨٥) النحل (١٠٦).

(١٨٦) النحل (١١٢).

(١٨٧) النساء (١٠٣).

(١٨٨) الأنفال (١٠).

(١٨٩) الرعد (٢٨).

(١٩٠) انظر "معجم مقاييس اللغة" (٢/ ٤٧٨) مادة (ربط).

(١٩١) الكهف (١٤).

(١٩٢) القصص (١٠).

(١٩٣) الأنفال (١١).

(١٩٤) البقرة (٣٨).

(١٩٥) البقرة (١١٢).

(١٩٦) طه (٤٦).

(١٩٧) النمل (١٠).

(١٩٨) موضع على ثمانية أميال من المدينة، "مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي (١/ ٤٢٤).

(١٩٩) آل عمران (١٧٣ـ ١٧٤)، وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، الحديث رقم (٤٥٦٣). و"فتح الباري" (٨/ ٢٢٩)، و"الدر المنثور" (٢/ ١٧٧).

(٢٠٠) انظر "تفسير التحرير والتنوير" (٤/ ١٧١).

(٢٠١) انظر "القاموس المحيط" ص٥٤، مادة (سيا).

(٢٠٢) الزمر (٦١).

(٢٠٣) "تيسير الكريم الرحمن" ص٧٢٨.

(٢٠٤) الأحزاب (٩ـ ١١).

(٢٠٥) الأنفال (١٢).

(٢٠٦) آل عمران (١٢٣ـ ١٢٦).

(٢٠٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٨/ ٢٢٩) الحديث رقم (٤٥٦٣).

(٢٠٨) الأنبياء (٦٩).

(٢٠٩) الأنبياء (٦٨ـ ٧٠).

(٢١٠) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٤١٠)، وانظر "جامع البيان" (١٧/ ٤٣)، و"أحكام القرآن" للجصاص (١/ ٥٣)، و"معالم التنزيل" (٣/ ٤٦٤)، و"روح المعاني" (١٧/ ٦٨).

(٢١١) انظر "جامع البيان" (١٢/ ٧١)، و"معالم التنزيل" (٤/ ٢٣٢)، و"إرشاد العقل السليم" (٥/ ٨١)، و"روح المعاني" (٢٧/ ١٢).

(٢١٢) الذاريات (٢٤ـ ٣٤).

(٢١٣) المائدة (٦٧).

(٢١٤) البقرة (١٣٧).

(٢١٥) "تيسر الكريم الرحمن" ص٢٣٩.

(٢١٦) "جامع البيان" (١٠/ ١٣٦)، و"تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٨، وانظر "معالم التنزيل" (٢/ ٢٩٦)، و"روح المعاني" (١٠/ ١٠٠).

(٢١٧) التوبة (٤٠).

(٢١٨) انظر "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٤٦)، و"معالم التنزيل" (٢/ ٢٨١)، و"روح المعاني" (١٠/ ٧٥).

(٢١٩) التوبة (٢٥ـ ٢٦).

(٢٢٠) "تيسير الكريم الرحمن" ص٧٩٤، وانظر "جامع البيان" (٢٦/ ١٠٤)، و"زاد المسير" (٧/ ٤٤١)، و"روح المعاني" (٢٦/ ١١٦)، و"مجموع الفتاوى" (١٥/ ١٨٤)، و"صحيح البخاري" كتاب التفسير (٨/ ٥٧٨) برقم (٤٨٤٤).

(٢٢١) الفتح (٢٦) وانظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٣٥)؛ و"تفسير القرآن العظيم" (١/ ٥١٦)؛ و"السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية" ص٤٨١.

(٢٢٢) انظر "تيسير الكريم الرحمن" ص ٨٧٤.

(٢٢٣) انظر "جامع البيان" (٢٠/ ١٤٨)، و"الجامع لأحكام القرآن" (٩/ ٨٠)، و"تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٣٧)، و"تاريخ الأمم والملوك" للطبري (١/ ١٧٨).

(٢٢٤) العنكبوت (٢٨ـ ٣٤).

(٢٢٥) هو (٧٧ـ ٨٣).

(٢٢٦) طه (١٧ـ ٢١).

(٢٢٧) القصص (٣١).

(٢٢٨) "إرشاد العقل السليم" (٦/ ٢٧٤)، وانظر "جامع البيان" (١٩/ ١٣٦)، و"معالم التنزيل" (٣/ ٤٠٧)، و"تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣٥٨).

(٢٢٩) طه (٤٢ـ ٤٦).

(٢٣٠) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ١٥٥)، وانظر "جامع البيان" (١٦/ ١٧٠)، و"معالم التنزيل" (٣/ ٢١٩)، و"أنوار التنزيل" (٤/ ٥٢)، و"فتح القدير" (٣/ ٣٦٨).

(٢٣١) طه (٦٥ـ ٦٨).

(٢٣٢) "في ظلال القرآن" (٤/ ٢٣٤٢)، وانظر "تيسير الكريم الرحمن" ص٥٠٨.

(٢٣٣) القصص (٢٥).

(٢٣٤) "تفسير القرآن" (٣/ ٣٨٥).

(٢٣٥) "معالم التنزيل" (٣/ ٤٤٢)، وانظر "زاد المسير" (٦/ ٢١١)، و"روح المعاني" (١٩/ ٧٣).

(٢٣٦) انظر: "تنوير المقباس من تقسير ابن عباس" ص٣٢٣.

(٢٣٧) القصص (٧).

(٢٣٨) "جامع البيان" (٢٠/ ٢٩).

(٢٣٩) المرجع السابق، وانظر "أنوار التنزيل" (٤/ ٢٨٥)، و"تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣٨٢).

(٢٤٠) القصص (١٣).

(٢٤١) "تيسير الكريم الرحمن" ص٦١١.

(٢٤٢) الكهف (١٣ـ ١٥).

(٢٤٣) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٧٥)، وانظر "جامع البيان" (١٥/ ٢٠٧)، و"أنوار التنزيل" (٣/ ٤٨٢)، و"التبيان في أقسام القرآن" ص١١٦.

(٢٤٤) "تيسير الكريم الرحمن" ص٤٧٢.

(٢٤٥) الكهف (١٧ـ ١٨).

(٢٤٦) الفتح (٤).

(٢٤٧) انظر "تيسير الكريم الرحمن" ص٧٩١.

(٢٤٨) الفتح (٢٦).

(٢٤٩) انظر "صحيح البخاري" كتاب التفسير، (٨/ ٥٨٧)، الحديث رقم (٤٨٤٤)، و"جامع البيان" (٢٦/ ١٠٤)، و"زاد المسير" (٧/ ٤٤١)، و"مجموع الفتاوى" (١٥/ ١٨٤)، و"روح المعاني" (٢٦/ ١١٦).

(٢٥٠) الفتح (١٨).

(٢٥١) انظر "جامع البيان" (٢٦/ ٨٨)، و"زاد المسير" (٧/ ٤٣٤)، و"تفسير القرآن العظيم" (٤/ ١٩٢)، و"إرشاد العقل السليم" (٨/ ١١٠).

(٢٥٢) الفتح (٢٧).

(٢٥٣) انظر "جامع البيان" (٢٦/ ١٠٧)، و"تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٠٢).

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية.
٢. أحكام القرآن، الجصاص.
٣. أحكام القرآن، الشافعي.
٤. أحكام القرآن، ابن العربي، دار إحياء التراث العربي.
٥. أنوار التنزيل، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
٦. التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم.
٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور.
٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٩. تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة.
١٠. جامع البيان، ابن جرير، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
١١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، الثانية.
١٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الكتب العلمية.
١٣. روح المعاني، الآلوسي، دار إحياء التراث العربي.
١٤. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث.
١٥. زاد المسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.
١٦. فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة.
١٧. فتح القدير، الشوكاني.
١٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة.
١٩. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة.
٢٠. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، البغدادي، دار الجيل.
٢١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الجيل.